الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية *

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم–

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تخصص نقد حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

القضية الفلسطينية في الأدب الجزائري

إعداد الطالبين:

بوخودة لخضر

ماحي سعيد

تحت إشراف:

د.طهار نادية

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	لقب واسم الأستاذ	الرتبة	عن الجامعة
رئيسا			جامعة مستغانم
مقرراً		أستاذ محاضر –أ–	جامعة مستغانم
مناقشا			جامعة مستغانم

السنة الجامعية: 2019–2020

إهداء

إلى أمي نبع الحنان ومصدر سعادتي دواء كل سقم

إلى أبي الذي أنار دروب حياتي وكافح من أجل تعليمي

أهدي ثمرة جهدي هذا

إلى كل الإخوة وكل الأخوات

وإلى كل عائلتي الكبيرة وكل الأهل والأحباب والجيران والأصدقاء

وإلى كل من يحبهم قلبي ولم يخطهم قلمي

إلى كل من ساعدني من بعيد أو قريب ولو بكلمة طيبة

كلمة شكر

إذا كان ولا بد من الشكر

نشكر الله عزوجل الذي منحنا القدرة على البحث والاجتهاد وشكر جزيل وامتنان إلى

الأستاذة المشرفة الدكتورة نادية طهار

وإلى كل الذين كانت قلوبهم معنا في كل خطوة.

مقدمة

تعد القضية الفلسطينية واحدة من أبرز القضايا التي اهتمّ بها شعراء الجزائر. فقد رافق الشعر الجزائري قضية فلسطين منذ ظهورها في العشرينيات من القرن الماضي وكان الشعراء العرب عموما يستغلون كلّ مناسبة لتأييدها وقد تابعوها في جميع مراحلها وأطوارها المختلفة منذ إعلان "وعد بلفور" سنة 1917م ، مرورا بانتفاضات الشعب الفلسطيني في الثلاثينيات ثمّ رفضه قرار التقسيم. وقد وقف شعراء الجزائر إلى جانب الفلسطنيين أثناء حرب 1948م، ونكسة1967م، و1972ثمّ تجاوبوا مع انتصارات الثوار الفلسطينيين وأبطال المقاومة، وأطفال الحجارة بعد ذلك حتى اليوم؛ ومن يطلع على النتاج الأدبي الجزائري يلاحظ أنّ الشعراء الجزائريين لم يكونوا معزولين عن قضايا أمّتهم العربية، على الرغم من الجدار الحديدي الذي ضربه حولهم الاستعمار الفرنسي منذ الاحتلال سنة 1830م وحتى الاستقلال 1962م، لأنّ صلة الشاعر الجزائري بالمشرق العربي وقضاياه ومشاغله صلة وطيدة وعريقة، وتأتي القضية الفلسطينية في الصدارة بحيث لا تعالي إذا قلنا أنّ النتاج الأدبي الجزائري شعرا ونثرا في القرن الماضي دار في معظمه حول ثلاثة محاور الوطنية والعروبة والوحدة العربية وفلسطين والاسلام ولسنا في حاجة إلى أن نعدّد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي حتى الآن كما أنّه لا حاجة بنا إلى أن نقارن بين واقع فلسطين حد أن تأمر عليها الاستعمار والصهيونية العالمية.

ولهذه الأسباب حاولنا في هذا البحث تقديم قراءة لمدى تأثر الأدب الجزائري بالقضية الفلسطينية.

ومن الدوافع التي جعلتنا بالبحث في هذا الموضوع بإعتباره موضوع حساس في حد ذاته وكذا بصفته قضية دولية كما أنه يعد جزءا جوهريا من الصراع العربي الاسرائيلي ففلسطين قضية العرب، صحيح

أن الفلسطينيين كانوا الضحية إلا أن الأمة العربية برمتها كانت المستهدفة بالتجزئة والهيمنة من قبل الاستعمار وبما فيها الجزائر وهذا ما حمله عنوان هذا الموضوع، ومن أجل التعرف على جذور هذه القضية وكيف قابلها الادب الجزائري ؟ وكيف نظر الأديب الجزائري لهذه القضية التي لايزال لهيبها موقدا لحد الساعة ؟

قد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لكونه يتلاءم مع طبيعة الموضوع إذ يعتبر طريقة لوصف الظاهرة المدروسة وتحليلها كميا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة إعتمدنا على جمع البيانات من عدة كتب ومجلات، فالقضية الفلسطينية غنية عن التعريف فهي معروف بها في كل بقعة من العالم ولاسيما مؤتمر الأمم المتحدة فهي ثورة إن صح القول وليس قضية كتب عنها حتى الأجانب ليس الأدباء الجزائريين فقط وهذا ما جعل بحثنا ضروري في جمع المعلومات ووصف هذه الثورة ووصف نظرة وموقف الأديب الجزائري لها. فحتى المنهج التاريخي كان موجودا، فالثورة الفلسطينية ذات جذور وتاريخ عميق، صحيح أن آباءنا الذين عاشوا النكبة حينذاك لم يتوقعوا يوما أن نحيي الذكرى في أي مناسبة لأنهم كانوا موقنين حينها بأن إسرائيل دولة مزعومة لن يكتب لها الحياة طويلا في التاريخ وضمن جغرافيا المنطقة العربية غير أن الصهاينة وفي أسوأ كوابيسهم لن يظنوا أبدا أنه بعد مرور سنين على النكبة سيكون هناك شباب مازالوا مصرين على إحياء هذه الذكرى والتي ستبقى راسخة في كل عقل عربي مسلم والجزائري بالدرجة الأولى.

ومن خلال البحث والاطّلاع فقد طرحت مجموعة من التساؤلات تشكل جوهر إشكالية هذا البحث:

- فيم تتجلّى مظاهر الثورة الفلسطينية في الأدب الجزائري؟
- وما مدى التزام الأديب الجزائري بالقضية الفلسطينية ؟

والإجابة عن هذه الأسئلة التي شكلت هذا البحث والذي سار وفق خطة تتمثّل في :

مقدمة: تناولت أهميّة الموضوع وسبب اختياره.

المدخل: الذي تناول عنوان الثورة الفلسطينية في الأدب العربي. والثورة الفلسطينية النشأة والتطوّر (مفهوم الثورة) وقضية التزامها.

الفصل الأوّل: بعنوان تجليّات الثورة الفلسطينية في الأدب الجزائري وينقسم إلى مبحثين

المبحث الأوّل تناول موضوعات الثورة الفلسطينية في الأدب الجزائري .

1-النثر

2-الشعر (الشعبي) .

أما المبحث الثاني اتّخذنا نماذج من الشعر الجزائري للدراسة والتحليل

1-محمد العيد آل خليفة .

2-مفدي زكرياء

الفصل الثاني: رمزية فلسطين في الأدب الجزائري المعاصر

تناولنا في هذا الفصل رمزية فلسطين في الأدب الجزائري وبدوره اتّخذ مبحثين

- المبحث الأوّل: تكلمنا فيه عن الرمز في الشعر الجزائري المعاصر.
- أما المبحث الثاني فكان بعنوان : رمزية القدس في الأدب الجزائري .

ثم جاءت الخاتمة التي كانت حوصلة لأهم النتائج المتحصل عليها .

وبما أنّ هذا البحث فإنّ صعوبات العمل كانت حاضرة سواء في اختيار الموضوع وضبط عنوانه أو في المعلومات المتحصّل عليها هذا ما جعل الأمر يتعسر علينا في تجميع هذه المعلومات خاصة في الالتحاق بالمكتبات في ظلّ هذه الجائحة (كورونا) .

ولكن بفضل الله وتوفيقه استطعنا التغلب على الكثير من الصعوبات التي كانت تعتري طريقنا فلا يسعني في مقامي هذا إلا أنّ أتقدّم بخالص الشكر والعرفان إلى كلّ من ساعدني من قريب أو بعيد بتوجيهات ونصائح علمية التي كان لها أثر جميل في إخراج هذا البحث على هذه الصورة التي لا أشكّ في أنها لا تزال بحاجة إلى جهد باحثين آخرين لتصبح أقرب للكمال .

طهار نادية التي ساعدتنا وكانت بصمتها حاضرة. وفي الاخير أتقدم بالشكر أيضا للأستاذة الكريمة

وأرجو من الله العون والسداد

المدخل

قضية الالتزام في الثورة الفلسطينية

1) الثورة الفلسطينية في الأدب العربي:

يعتمد تطور الأدب على عوامل عديدة تعمل معا لتؤثّر على وجهة تطوره وبشكل جلي ، حالة الأدب الفلسطيني كما سنرى والشعر منه بخاصة وهو أعمق الفنون العربية جذورا لكن يبقى هناك فرق ملحوظ بين الطريقة التي اتبعها الكتاب الآخرون في العالم العربي، والهدف الأوّل لهذه المقدّمة لا يقتصر على وصف فلسطين في الأدب العربي بل يشكل جزءا من تطور الأنواع الأدبية العربية عموما وهو موضوع تناولناه ضمن سياق عربي عام في كتابات أخرى [1] .

–فلسطين والأدب العربي:

على الرغم من أنّ فلسطين جزء لا يتجزأ من الأدب العربي وأنّها مساهمة إسهاما كاملا في كل تجارب الثورات التي شهدها الأدب العربي خلال هذا القرن ومنذ عقد الخمسينيات بوجه خاص، فإنّه تميّز باختلافات بينة في بعض النواحي خاصة في علاقاته بالزمان والمكان وفي لهجة الخطاب والاتجاهات وفي انشغاله الخاص بالقضية السياسية السائدة وقد يمكن القول أنّ الأدب العربي برمته مشغول هذه الأيام بالصراع الاجتماعي السياسي الذي يخوضه الشعب العربي، ولكن لا شكّ في أنّ السياسة تفرض عبئا الثقل على الفلسطيني فهي تحدد عادة أن يعيش هذا الكاتب ويكتب وتستدعي قدرا أكبر ما يكون مستلزمين بأفكار سياسية معينة ومنتمين إلى صفوف المعارضة، فأديب ناصر ابن ثورة أحد أدباء العرب الذين كتبوا عن فلسطين . إنّ الربط بين عناصر

[1] انظر فاروق وادي، ثلاث معالم، ص 145 .

الثورة والثائرين في كلّ مكان مهمة صعبة إلا إذا استطاع الثائر أن يوصل بينهم جميعا فكرا وممارسة وإبداعا . [1]

2) الثورة الفلسطينية النشأة والتطوّر:

- **تعريف الثورة:**

الثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن وتغييره باندفاع يحركه عدم الرضا أو التطلع إلى الأفضل أو حتى الغضب، والثورة تدرس على أنها ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة ما هدفها التغيير وفقا لإيديولوجية هذه الفئة أو الجماعة، ولا ترتبط بشرعية قانونية كما تعبر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلى طبقة الثوار [2]

كلمة الثورة في اللغة العربية جاءت من فعل يثور–ثار–ثورة وتعني في الأصل الهيجان أو اشتداد الغضب والإندفاع العنيف، ثار أي هاج.

فهي تلك التغيرات التي تعمل على تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم وأيديولوجية وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية كما قد تكون سلمية وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية.

[1] ياغي عبد الرحمن، حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أوّل نهضة ... حتى النكبة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1981، ص 607 .

[2] مروة تهامي، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا 2011م، دراسة إنثروبولوجية ميدانية مقارنة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة 2013، ص 07 .

- **النشأة والتطوّر:**

في عام 1917م أخلفت بريطانيا بوعودها للعرب بمنحهم الاستقلال عند إزالة الحكم التركي عن بلادهم وأصدرت على لسان خارجيتها بلفور وعده الذي سمي باسمه في 02 نوفمبر 1917م الذي ينظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين [1] ، كان هذا الوعد من لا يملك لمن لا يستحق دون علم صاحب الحق [2] ، وقد جاء تتويجا لمرحلة طويلة من العمل الصهيوني على البراءة الدولية للاستيطان في فلسطين [3] لكن وعد بلفور لم يكن خديعة على المزدوجة الوحيدة التي قامت بها بريطانيا بالنسبة إلى فلسطين والأمة العربية قبل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها وبعدها فقد عمدت حكومتها إلى الخداع في محادثات مكماهون – الشريف حسين ، وكذلك في اتفاقية سايكس بيكو إلى المناورة في مؤتمرات السلام التي انعقدت بعد الحرب. ومهما كانت الحجج والذرائع التي ساقتها بريطانيا فإنّ الحقيقة الساطعة تبقى أن الاستيطان الصهيوني ثبت أقدامه في فلسطين تحت انتدابها وفي حماية جيوشها وجاء وعد بلفور بمثابة البراءة الدولية التي سعى إليها هرتزل وعمل من أجلها فتحقق ذلك أيام خلفه حاييم وايز من الذي رأى في الحرب العالمية الأولى الفرصة لتحقيق الهدف الصهيوني [4]. وقد نشرت الحكومة البريطانية بلاغا رسميا في أفريل1917 وافقت فيه على إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين وتعهدت بمنح يهود فلسطين جميع الحقوق

[1] أحمد الشقيري، صفحات في القضية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الأولى، بيروت 1979م، ص 10 .

[2] سلمان أبو ستة، "نكبة فلسطين... متى يمكن أن تزول"، مجلة العربي، العدد 498 (د.ب)، 2000م، ص 100.

[3] إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ، سنة 1949م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1996م، ص341.

[4] بهجت صبري، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1919م–1920م، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1982م، ص 150.

السياسية والمدنية وبفتح باب الهجرة أمامهم تعهدت كذلك بمنحهم استقلالا ذاتيا في كل الأمور الدينية والمدنية والثقافية في فلسطين [1] .

ولقد اعتبرت الصهيونية وعد بلفور مكسبا هامّا لأنّه شكّل أوّل اعتراف لمطالبهم رسميا بالرغم من أن فلسطين لم تكن ملكا لبريطانيا ولا تحت سيادتها وبعد محادثات ومفاوضات طويلة بين اليهود أنفسهم وبين ممثلي الصهيونية والحكومة البريطانية اتّفقوا على وضع نص التصريح يوجهه بلفور وزير الخارجية إلى روتشيلد ووافق الرئيس وينستون تشرشل على النص في 17 أكتوبر وأقره مجلس الوزراء في 02 نوفمبر 1917م[2] . وهذا التاريخ يعتبر التاريخ الرسمي للاستعمار الاستيطاني في فلسطين [3].

3) قضية الالتزام في الثورة الفلسطينية :

اثنان وستون عاما مضت على نكبة فلسطين جديرة بأن نقف حيالها وقفة تحليل ونقد واعتبار بيد أنّ البحث الذي بين أيدينا ليس بحثا تاريخيا محضا أو رواية تاريخية صرفة إنّما هو بحث أدبي يسلط الضوء على قضية أدب الالتزام في الثورة الفلسطينية . إننا أمام قضية شعب كان يعيش آمنا في سربه مطمئنا في وطنه بيد أنّ أطماع الاستعمار والمؤتمرات أطلّت بوجهها القبيح لتحيل أمنه خوفا، واطمئنانه قلقا وأخذت تمارس هذه عدوانا بشعا يهدف إلى اقتلاعه من أرضه وتهجيره قسرا إلى بقاع الأرض حيث آلام المنافي ومأساة الشتات .

[1] جلال يحي، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1965م، ص 22.

[2] محسن محمد صلاح، التيار الإسلامي في فلسطين وآخرون في حركة الجهاد 1917م-1948م، مكتبة الفلاح، الكويت، 1989م، ص 89.

[3] محمد ضياء الدين الريس، تطور، المرجع السابق، ص 245.

ولما كان الشعب الفلسطيني متجذرا في أرضه ولم يفقد مقومات بقائه فإنّه لم يستسلم لسياسة فرض أمر الواقع، بل انبرى لمجابهة ذلك بكل ما أوتي من إمكانات .

لقد كانت بداية خيوط المؤامرة قد نسجت في أعقاب مؤتمر " بال " عام 1897م على أيدي الحركة الصهيونية بإقامة الدولة اليهودية . وغني عن البيان ما وصمت به الحركة الصهيونية في فاسيتها ونازيتها ناهيك عن ادّعاءات كاذبة روجت لها بأحقيتها التاريخية في فلسطين زاعمة أن الفلسطينيين معتدون لصوص، جنا فيها سرق أجدادهم أرض إسرائيل من أصحابها الحقيقيين [1]، وما أن بسطت بريطانيا الاستعمارية يدها على فلسطين حتى شرعت فورا بتنفيذ وعد بلفور سالكة كلّ الطرق التي تؤدّي إلى النتيجة المرسومة لإقامة الدولة الصهيونية في فلسطين [2] عبر كافة الأصعدة سياسية وإدارية وعسكرية لتفتح الأبواب على مصراعيها للهجرة اليهودية ومن ثمّ ضرب المقاومة العربية الفلسطينية كان ذلك إيذانا باندلاع الاصطدامات المسلحة عبر انتفاضة عام 1913م ثم ثورة فلسطين الكبرى عام 1936م التي حظيت باهتمام بالغ ليتوج الأمر بانطلاق الثورة المسلحة وتحوّل البلاد إلى ساحة حرب.

خشيت بريطانيا عواقب الثورة المسلحة ولم يكن أمامها سوى توجيه نداءات عبر الملوك والأمراء العرب تدعو إلى السكينة وإنهاء ظاهرة العنف والاضطراب . ولم يكن أمام اللجنة الملكية

[1] بهجت أبو غربية، القضية الفلسطينية في أربعين عام بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1989م،ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص 24 .

البريطانية سوى التوصية " بإنهاء الانتداب وتقسيم البلاد بشكل يقيم دولة يهودية في الشمال والغرب ودولة عربية في الأراضي الباقية وإبقاء القدس وبيت لحم والناصرة تحت الانتداب[1].

قوبل قرار التقسيم برفض شديد من الفلسطينيين بإنشاء دولة يهودية فوق أرض فلسطين كما أعلنت اللجنة العربية العليا رفضها رسميا له وأبلغت عصبة الأمم المتحدة بذلك .

كان ذلك القرار إرهاصا لعودة الثورة الكبرى من جديد لتندلع في أكتوبر عام 1937م حتى سبتمبر عام 1939م ، وما أن أحيلت القضية إلى أروقة الأمم المتحدة حتى برز الاقتراح المنبثق عن لجنتها بدعم قرار تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية وتدويل القدس، بيد أنّ هذا القرار قوبل مرة أخرى من اللجنة العسكرية الفلسطينية والشعب الفلسطيني برفض قاطع . ومما يؤسف له أن الحكومات المنضوية تحت جناح النفوذ البريطاني لم تقوَ على إبداء مخالفة للقرار الجائر بل لم تكن صادقة في ظاهر رفضها لقرار التقسيم وسعت إلى تنفيذه في تسابق مذهل مع بريطانيا .

كل ذلك دفع الفلسطينيين إلى فتح باب الصراع والمقاومة ضد اليهود قبل دخول الجيوش العربية وكانت كفتهم راجحة، الأمر الذي جعل الرئيس ترومان يضطر ويحاول في الخامس عشر من آذار/مارس عام 1948م عقد هدنة فورية بين العرب واليهود ويقترح حلا غير التقسيم وهو الوصاية، ولكن اليهود رفضوا ذلك وطمأنوه إلى أنّهم قادرون على الانتصار [2].

[1] بهجت أبو غربية، القضية الفلسطينية في أربعين عام بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1989م، ص 39.

[2] المرجع نفسه، ص 52.

وهكذا يدور التاريخ دورته يؤكّد أن انتفاضة 1987م بشموليتها قد أعادت الأوضاع في فلسطين المحتلة إلى وضع ومناخ يقتربان كثيرا من ذلك الذي كان قائما في الأربعينيات وتتمثّل أهمية وخطورة ذلك المناخ في أنّه يوقظ الهوية والشعور الفلسطيني ليس فقط في الضفة الغربية وغزّة لكن أيضا في المناطق التي استولت عليها إسرائيل أثناء الحرب عام1948م وبعدها ويضعها وجها لوجه أمام التحدي الإسرائيلي [1].

ويزداد الشعب الفلسطيني رهقا فوق رهقه عبر انتفاضته المباركة عام 1987م ولكن هذا العناء وتلك التكاليف تهون من أجل درة واحدة من تراب فلسطين المقدس حيث تشير الإحصائيات إلى استشهاد ألف وخمسمائة وخمسين فلسطينيا واعتقال مائة ألف فلسطيني وما يزيد عن سبعين ألف جريح بإعاقات مختلفة، كما كشفت إحصائية أعدتها مؤسسة التضامن الدولي حينذاك أن أربعين فلسطينيا سقطوا خلال الانتفاضة داخل السجون ومراكز الاعتقال الإسرائيلي بعد أن استخدم المحققون معهم أساليب التنكيل والتعذيب لانتزاع الاعترافات [2] .

كانت الانتفاضة الأولى المباركة تزداد إشعالا فيما كان الملف التفاوضي المعد للمرحلة القادمة يقطف عمارها سياسيا لنقرأ في أولى صفحاته عن إعلان دولة فلسطين في المنفى بتاريخ 1988/11/15م وفي 1993/09/13م وقع الرئيس ياسر عرفات مع رئيس الوزراء الإسرائيلي

[1] عبد الحميد العواني، الانتفاضة والداخل الإسرائيلي، شؤون عربية، العدد 53 آذار/ مارس، عام 1988م، الإدارة العامة، جامعة الدول العربية، تونس، ص 105.

[2] موقع قصة الإسلام، أحداث فارقة في الانتفاضة الأولى 1987م.

إسحاق رابين في واشنطن اتفاق أوسلو الذي هيّأ والاتفاقيات الفلسطينية التي تلته وما سبقته من مفاوضات علنية وسرية لتحولات واسعة في الحقل السياسي الفلسطيني [1] .

ففي تموز/ يوليو 1994م دخلت السلطة الفلسطينية قطاع غزة يتقدمها الرئيس ياسر عرفات لتكون الجسم السياسي المسؤول عن الحكم في مناطق الحكم الذاتي والذي تمّ تعزيزه بانتخاب برلمان سنة 1996م واستطاعت السلطة الفلسطينية فرض هيمنتها عبر أساليب مختلفة، الأمر الذي جعلها تدخل بعد فترة قصيرة من قيامها في مواجهة مع الحركة الإسلامية لحسم واقع تميّز بازدواجية السلطة [2].

[1] جميل هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، مواطن، المؤسسة الفلسطينية للدراسة الديمقراطية، رام الله، 1988م، ص 79.

[2] المرجع السابق، ص 82.

الفصل الأوّل

موضوعات الثورة الفلسطينية في الأدب الجزائري

المبحث الأوّل: موضوعات الثورة الفلسطينية في النثر الجزائري

1- في النثر الجزائري :

لم تحظ قضية عربية قومية أو إسلامية في النثر الجزائري الحديث بالقدر الذي حظيت به القضية الفلسطينية باعتبارها قضية جوهرية في عقيدة الإنسان الجزائر تمثل أحد المقدسات في تفكيره، يرقى الاهتمام بها إلى درجة الاهتمام بالعقائد والعبادات فلم نكد نجد أحدا إلا تمثل عنده إحدى نقط التوتر في حياته إلى جانب القضايا الوطنية الصميمة في حياته.لأنها ترتبط بالاسلام

والدارس للأدب الحديث شعره ونثره يجد حضورا مكثفا لفلسطين بل ويرجع الاهتمام بها إلى عصور متقدمة في التفكير والاهتمام الجزائريين؟ على حد تعبير أحد الباحثين المعاصرين [1]، وبشيء من التدقيق يجد الباحث أن بعض الجزائريين المحدثين من الكتاب نبهوا إلى المخاطر التي يمكن أن تلحق الأراضي الفلسطينية علي غرار – عمر راسم – محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965)- الطيب العقبي (1980-1961). الشيخ إبراهيم أبو يقضان (1888-1973)- الشيخ العربي تبسي (1895-1957)- الشيخ الفضيل الورتيلاني (1900-1959).

[1] انظر د. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ص 151 وما بعدها.

من بعض المشاريع اليهودية التي كانت تتردد هنا وهناك، ذلك لأنّ الجزائريين خبروا اليهود وعرفوا تصرفاتهم وسلوكاتهم ومؤامراتهم الدنيئة منذ قرون طويلة فعرفوا مكرهم وأحلامهم بعيدة المدى[1].

من أقدم الكتاب الجزائريين اهتماما بهذا الموضوع " عمر راسم " الذي شنّ حملة عنيفة على اليهود كاشفا سلوكاتهم وجشعهم ومكائدهم تجاه الجزائريين فكتب منذ بداية القرن العشرين ينبه إلى المخاطر التي يمكن أن تجر على فلسطين وغيرها ما لا تحمد عقباه [2].

كما كشف أعمالهم التخريبية في الوطن الجزائري وهذا يدينهم في كل عصر مصر فقال " كان من عادة اليهود أن يسلبوا وينهبوا ويأكلوا أموال الناس بالذلّ والمسكنة والربا والخديعة حسب ما أحلّ لهم تلمودهم رزق من خالقهم في الدين واليوم لم يكفهم ذلك لما وجدوه من دولتهم من قوّة العزة التي لحقتهم من المتباعين والمغلفين وامتزاج دمهم بدم الأرذال ممن سامحتهم نفوسهم الدنيئة أن يزوجوا بناتهم لتماثيل العيوب المادية والأدبية خوفا أن يرموهم – هكذا – المتملقون والمذيذيون بالتعصب والتأخر فصاروا بذلك يهودا اليوم لصوص الشوارع والأزقة كما أنّهم لصوص الحيلة والغدر والذلّ والضحك " [3].

أبدى عمر راسم تألما من تقاعس المسلمين والعرب وعدم أخذهم مسألة محاولة اليهود استعمار فلسطين وإنشاء دولة يهودية على أراضيها مقارنة بالجدية والحزم الذي يعمل به اليهود،

[1] انظر سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، انظر عيسى شنوف، يهود الجزائر، 2000 سنة.

[2] عمر راسم، استعمار فلسطين، دار الأمر يامسلمين، مرشد الأمة ع04، 1909/07/23.

[3] عمر راسم، كشف أعمال اليهود التخريبية صناعة جديدة للسلب والنهب، مرشد الأمة ع06، 06/08/ 1909 .

واعتبر ذلك التقاعس من العرب والمسلمين جرما لا يغتفر ومن السلطة العليا للدولة التركية عمل غير مقبول فقال " أهمية استعمار فلسطين التي غفلوا عنها لا يجهلها إلا الغبي البليد ولم يقاومها إلا النذل الجبان العنيد لأنّ غايتها تأليف سلطة يهودية في فلسطين تسعى إليها اليهود من وراء حجاب من السياسة الاقتصادية التي يحاولون بواسطتها الوصول إلى ضالتهم المنشودة (صهيون)، وقد ألفوا لذلك جمعيات وعقدوا مؤتمرات في عواصم أوروبا وأفرغوا كل ما في وسعهم إلى ما هم إليه متوجهون، ولا شكّ إذا دام الحال على ما هو عليه أنهم سيفوزون وينالون ما يشتهون وعند ذلك ترى الدولة العليا في شعب يشيب صبيانها ما لم تراه مع اليونان والبلغار وغيرها" [1].

يشير عمر راسم في هذه المقولة عن الغاية التي يبحث عنها اليهود من أجل الاستطان وجعل لأنفسهم بلد بعد لم يكن لهم دولة في العالم وإنما مشتتين في أروبا وآسيا وافريقيا بنسب مختلفة، خاصة بعد أن قامت الحكومة الروسية بإعدام أعداد كبيرة من اليهود بعد حادثة إغتيال القيصر الروسي الاسكندر الثاني عام 1881 وإن خطة اليهود واضحة وضوح الشمس لأن الهدف هو الإستطان والإحتلال وفرض الهيمنة والخاسر الوحيد هو فلسطين لتلقيها هذا الاحتلال الغاشم كما حدث لليونان وبلغاريا.

ثم غدا الكاتب يوضّح أهداف الصهيونية البعيدة ومخططاتهم والطرق الملتوية التي اتّبعوها لانجاز مشاريعهم وتحقيق أحلامهم الصهيونية على أرض الواقع وتحركاتهم على جميع الأصعدة في الدول

[1] عمر راسم، استعمار فلسطين، مرشد الأمة، ع 08، 1909/08/27 .

الغربية وحكوماتهم ولدى السلطة الحاكمة في دول الخلافة على سبيل المثال: الولايات المتحدة الامريكية، بريطانيا، إنجلترا

ملوحين بالمال والمساعدات. وحذر من الهجرات السرية والعلنية للطوائف والجاليات اليهودية على أرض فلسطين والسلطة العثمانية سادرة في استبدادها ونومها العميق في جميع دواليبها وأجهزتها. كما انتقد " عمر راسم " الدولة العثمانية انتقد الشعوب العربية والصحف والكتاب والشعراء وغفلتهم عن الخطر الداهم من اليهود .

إنّ هذا الموقف من " عمر راسم " تجاه اليهود وقضية استعمار فلسطين وإحساسه المبكر بالأخطار المحدقة بالأمّة الإسلامية خلافة وشعوبا جعلت الدكتور محمد ناصر يقول عنه " غير أنّ الذي بات شغله الشاغل والمحور الذي دار حوله أغلب كتاباته وما يتهدد الوطن العربي والإسلامي من خطر الصهيونية فإنّ اهتمامه بالتحذير من هذا الخطر اهتمام لافت للنظر حقا، فإنّنا لا نعرف كاتبا جزائريا واحدا في ذلك الوقت المبكّر انشغل بهذا الموضوع ولعله ليس ثمّة وصف ينطبق عليه أدقّ من ذلك الذي اختاره لنفسه حين نعتها بأنّه " عدوّ اليهود على الإطلاق " [1].

ويحذر راسم من أولئك المستصغرين لشأن اليهود والمستهينين بأعمالهم المثقلين لعددهم في ربوع العالم وتوزعهم على أقطاره وأمصاره، فيقول " إنّ ممن دعتهم غفلتهم إلى اعتناق مذاهب الأوهام كمن يسمى بالاشتراكي والفوضوي والعدمي وغيرهم ممن ينتمون إلى انتصار الضعيف ضد القوي باسم الإنسانية (إمّا بلا مسمّى) يقولون إنّ اليهود امّة ضعيفة حقيرة مسكينة لا ينبغي الالتفات

[1] محمد ناصر، عمر راسم، المصطلح الثائر، مطبعة لافوميك، الجزائر، (د.ت)، ص 36.

لأنّها لا تعمل شيء (كذا) لأنّها طائفة قليلة العدد مشتّتة الأطراف منفصلة الأعضاء، نعم لا تعمل شيئا واحدا ولكنّها تعمل أشياء[1] .

ومن جملة الأشياء التي يمكن أن يفعلوها بدهاء وتكتّم وخداع تظاهرهم بالدعة والطيبة والمسالمة في الظاهر ولكنّهم يبطنون غير ما يظهرون لذلك يلفت الانتباه إليهم ويحذر من شرّهم فيقول " وبعد البحث أثبتنا أنّهم المتسببون فيها، يوقدون نيران الحروب ويلقون شرار الفتن كما نفثوا سمّ الفساد أخلاقهم ولتجريدها من الفضائل التي تحتاج إليها العمران والسلم العام لأنّ اليهود يريدون أن تبقى الأمم في شقاق واختلاف ليتمكن لهم جمع المال ونيل الأغراض في الغفلة التي تقع عند التفاف العدو لعدوّه حتى تنسيه مصلحة نفسه وجاره ومعاهده وقت الدفاع عن شرفه، إنّهم يغتنمون هذه الفرص لينالوا سعادتهم وراحة أفكارهم الخبيثة [2].

إنّها الانتهازية وإنّه اللؤم الذي عرف به اليهود على مدى التاريخ ولا غرابة في ذلك فتلك طباعهم الخسيئة وأخلاقهم الوضيعة ألا يصطادوا إلا في الحياة المياه العكرة .

إنّ الذي يقرأ مقال " محمد راسم " يندهش لاطلاع هذا الرجل وعمق تحليله وصائب وصواب فكره في الكثير من القضايا الصهيونية وقضايا الماسونية مع صدق في العاطفة وإخلاص للأمّة العربية وللدين الإسلامي وحبّ لفلسطين وأهلها وخوف كبير مما يحاك لها ويدار منذ وقت طويل، كما يعكس تنبيه ويقظة الكتاب الجزائريين المبكر للمخاطر الصهيونية منذ الحرب العالمية الأولى

[1] محمد ناصر، عمر راسم، المصطلح الثائر، مطبعة الجزائر، (د.ت) .

[2] المرجع نفسه، ص 69.

(1914-1918) وما قبلها [1]، هذا أوّلا .وثانيا إنّ مثل هذه الكتابات المبكرة حول القضية الفلسطينية تعكس الحس القومي المبكر لدى الجزائريين وتؤكّد حقيقة لا جدال فيها وهي " أنّ هذا الشعب عرف سبقا في الوعي القومي وسموا في استشراق قضاياه ، الأمر الذي لا يتماشى مع ما كانت تنعت به الجزائر من عقم في هذا الوعي [2].

يحكي هنا عن وعي الشعب الجزائري وما عاشه من تجربة ربما نغالي إن قلنا للفلسطينيين في قلوب الجزائريين مكانة خاصة فقد ارتبط الجزائريون بفلسطين ارتباطا روحيا عميقا، فالشعب الجزائري واعي بكونه خاض نفس التجربة من الاحتلال الفرنسي فهو يدرك جيدا معانات الشعب الفلسطيني وإدراكه تماما بأن المشروع الصهيوني مدعوم من دول الغرب بخفي، وهذا ما جعل الكاتب الجزائري يحس بما يحدق بفلسطين.

أدرك الجزائريون منذ بداية القضية الفلسطينية في الظهور على الساحة العربية أنّ القضية وراءها مشروع صهيوني كبير مدعوم من قبل الغرب الحاقد على العروبة والإسلام وما المبررات التي كانت تشاع وتذاع للإقناع إلا برقع يخفي وراءه مخاطر كثيرة على فلسطين وعلى غيرها من البلدان العربية فقال " إبراهيم أبو اليقظان في هذه المسألة " إنّ كلّ من ينظر ويدقق البحث في قوادم المسألة وخوافيها يجد أنّ المسألة ليست المبكى والبراق وإنّما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب

[1] انظر صالح خرفي، الجزائر والأصالة الثورية، ص 33 وما بعدها.

[2] المرجع السابق، ص 48.

مخالبه في خناق العالم الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وحبه الأرضين ومقر أنبياء الله فلسطين [1].

إنّ المستقرئ المتمعن في النص السابق يدرك أنّ الكآبة كان عالما بالأغاليط التي كان يشيعها اليهود في المجالس والنوادي بينما هم يخفون أمرا آخر ظاهره حائط المبكى بزعمهم الذي به يستعطفون العالم ويستدرون الشفقة والمساندة وكلها في حقيقة الأمر تمويهه جعلت الدين والأماكن المقدسة ذريعة للاستلاء على أرض فلسطين، ولكن الفلسطنيين تصدى لمثل هذه المخططات بل قاومها بكل ما يملك من قوة وعتاد وكانت ردّة الفعل عنيفة وقوية مشرفة وبدأت المقاومة في أرض فلسطين لما تبين أنّ اليهود ومناصريهم ماضون في تطبيق وعد بلفور الصادر 02 نوفمبر 1917م. وفي السابع عشر من آب أغسطس 1929م تفجرت المقاومة الفلسطينية المسلحة في القدس وامتدّت إلى بقية أنحاء فلسطين وبذلك كانت أوسع نطاقا وأشدّ خطرا من الانتفاضتين اللتين تفجرتا في عامي 1920م – 1921م[2] .

ولكن الصهيونية العالمية كانت بالمرصاد فرمت بشباكها لتجهض الثورة وكالعادة عمدت بريطانيا إلى تشكيل لجنة تحقيق برئاسة " السيد والتر شو " وعضوية ثلاثة شخصيات يمثلون الأحزاب البريطانية الثلاثة " المحافظين والعمال والأحرار " [3] .

[1] جريدة ميزاب، ع 14 جانفي 1930م .

[2] عودة بطرس عودة، القضية الفلسطينية في الواقع العربي، ص 355.

[3] المرجع نفسه، ص نفسها.

وكما هو الشأن فقد بقيت أعمال اللجنة تراوح مكانها غير أن الوضع كان يزداد خطورة وتعقيدا واحتقانا فعرف الفلسطينيون أنّ الحل الوحيد هو الثورة العارمة والرد على اليهود وبريطانيا لا يكون بانتظار تحقيق ما كان يهدفان إليه فعمد الفلسطينيون إلى الثورة العارمة في كلّ أنحاء فلسطين، ولقد بدأت بوادر الكفاح المسلّح الفلسطيني تتفجّر عام 1933م بالمظاهرات الصاخبة الدامية التي شهدتها القدس يافا في شهر تشرين أكتوبر من ذاك العام .

ثمّ أخذت هذه المظاهرات تتصاعد إلى أن بلغت مرحلة الثورة التي فجّرها الشيخ عز الدين القسام في الثاني من نوفمبر 1935م[1].

كما لجأ الفلسطينيون إلى وسيلة أخرى للضغط على الحكومة البريطانية التي كانت تتحكم في الأوضاع وتتحكم بزمام المبادرة، أعلن الشعب العربي الفلسطيني الإضراب العام الذي يعتبر من أطول الإضرابات التي عرفها التاريخ إذ استمرّ 176 يوما، وكان شاملا لكل أوجه الحياة والمرافق العامة [2] . وذلك في السابع عشر من أبريل- نيسان 1936م إلى أكتوبر تشرين الأول 1936.

التفت الأدباء الجزائريون حول القضية الفلسطينية منذ وقت مبكر من هذا القرن فسجلوا كلّ أحداثها وتتبعوا تطوراتها منذ البداية وظلوا ملتزمين بذلك، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله "ولعلّ أهم قضية عربية احتفى بها الأدب الجزائري هي قضية فلسطين فقد نوه بها الكتاب في الصحافة الوطنية وتغنّى بها الشعراء في مناسبات متعدّدة مما جعلها شغل الرأي العام، كما

[1] المرجع نفسه.

[2] عودة بطرس عودة، القضية الفلسطينية في الواقع العربي، ص 361.

خصصت الصحافة الافتتاحيات الغافية والأبواب الدائمة لدراسة طبيعة فلسطين وأهميتها التاريخية[1].

ولم يقتصر ذلك الاحتفاء والاهتمام بفلسطين وقضيتها في النثر فقط بل في الشعر أيضا، فلا نكاد نجد قصيدة أو شاعرا في هذه الحقبة التاريخية من سنوات الثلاثينيات.

بعد حلول الثلاثينيات أصبحت مواقف الجزائريين جلية إتجاه القضية الفلسطينية من أجل تأكيد دعم الجزائريين لإخوانهم في النضال وذلك بمشاركة الجزائريين في المؤتمر الاسلامي الأول في القدس الذي عقد في ديسمبر 1931 وتنظيم حملات ومساندة وذلك من أجل وقف المجازر في حق الفلسطينيين في هذه الفترة بالذات، والوقوف لرفض قرارات التقسيم بعد إعلان عن وعد بلفور.

لم يكتب عن فلسطين، فمنذ وعد بلفور المنكود في 02 نوفمبر 1917م وقضية فلسطين على الأفواه وفي أعمدة الصحف الجزائرية وضمن القصائد الشعرية، فقد خلّد الشعراء شهداء ثورة 1936م وأبطال المعركة القسطل كما أهاجوا العواطف أثناء حرب 1948م وهاجموا التقسيم ونادوا بالثأر وتوعدوا اليهود [2].

وحين طبّق حكم الإعدام على بعض المجاهدين في فلسطين سنة 1930م، كتب الشيخ عبد الحميد ابن باديس يرثيهم ويبين فضل الشهيد عند الله ولزوم الشهادة لبناء الحضارات والتمكين لدين الله وتحرير الأوطان، وسجل شجاعتهم وإيمانهم ورباطة جأشهم أمام الموت المحقق

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 115.

[2] المرجع السابق، ص 116.

والإعدام المؤكد، فقال أحدهم " الشهيد محمد جمجوم " نحمد الله على أننا نحن لا أهمية لنا نذهب فداء الأمّة لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم، وإذا كان إعدامنا نحن الثلاثة يزعزع شيئا من كابوس الانجليز عن الأمّة فليحل الإعدام في عشرات الألوف منا لكي يزول الكابوس عنا تماما "[1].

ثم علّق ابن باديس على أولئك الشهداء بعد الدفن قائلا " لم تدفن في تلك القبور الثلاثة جثث الأبطال الخالدين، كلّا لقد دفن أولئك في القلوب العربية الدامية إنما الذي دفن في تلك القبور أبدا هو سياسة حسن الظن في الانجليز واعتماد الضعيف على القوي لإحراز حق سياسة التكفف والاستجداء والابتذال، فلن يكون بينهما في مستقبل الأيام إلى الموت الزؤام " ولا تحسبنّ الذين قُتِلُوا في سبِيلِ اللَّه أمواتا بلْ أحْيَاء عندَ رَبِّهِم يُرْزَقُون " [2].

الحقيقة إنّ تعليق ابن باديس هذا وراءه ما وراء من المعاني والتعريض بالاستعمار الجاثم على الصدور هنا وهناك ينغزه ابن باديس في أسلوب أدبي راقي لا يدركه إلا من خبر كتابات الشيخ وتمرن على أسلوبه.

لقد ازدادت القضية الفلسطينية حضورا في الأدب الجزائري وفي الواقع اليومي المعيش وخاصة بعد أن أوصت اللجنة المكلفة بدراسة الوضع في فلسطين وتقصي الحقائق بعد تمهيد طويل في اثنين وعشرين فصلا، أوصت لجنة " بيل" في تقريرها تقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها، وضمّ الجزء العربي إلى إمارة الشرق الأردن ولقد رفض الشعب الفلسطيني هذا المشروع وردّ عليه

[1] آثار عبد الحميد ابن باديس، ج05، ص 480.

[2] المرجع السابق، ص 481.

بتصعيد الثورة المسلحة [1]. وفي هذه الأجواء المشحونة والتوتّر الذي طال العالم العربي كلّه نجد سيلا من المقالات في الصحف والمجلات الجزائرية تندد بالانجليز وانحيازهم لليهود وتشجب أطماع الصهيونية في فلسطين خاصة حين ظهر مشروع " قرار التقسيم " عام 1937م، فرأينا ذلك السيل الجارف من البرقيات والمقالات و البيانات تنشر تباعا في الصحف والمجلات والجرائد الجزائرية تساند أبناء فلسطين وتندّد بأعدائهم من مستعمرين وصهاينة [2] .

واللافت للنظر في هذه المرحلة المتقدم من حياة القضية الفلسطينية وصداها في الأدب الجزائري هو أنّ الدارس للأدب الجزائري يلاحظ ظاهرة متغيرة في كتابات الجزائريين شعرا ونثرا وهي الانطلاق من الواقع الوطني إلى الواقع العربي من رؤية محلية إلى رؤية عربية شاملة ... [3]وهذا دليل قاطع على سعة النظر عند الأديب الجزائري وعمق تفكيره وصدق انتمائه وارتباطه بوطنه العربي الكبير، ومن ثمّ كانت كل دعوة إلى القضايا الوطنية لا تخلو من الدعوة إلى القضايا العربية القومية، وعليه كما يقول الدكتور محفوظ قداش " الدعوة إلى الوحدة العربية والدعوة الوطنية ممتزجتان " [4]، كل ذلك لأنّ الإنسان الجزائري عموما والأديب خصوصا كان ينظر إلى القضايا والأحداث سواء كانت وطنية أو قومية نظرة موحدة أساسها الدين. والأدباء الجزائريون شعراء وكتابا اهتموا إلى جانب هذا بالحديث عن الوطن وعن العروبة والشرق، كل هذا في إطار الدين الإسلامي فكثيرا ما تختلط هذه الأمور كلها لدى الشاعر إذ يتغنى بالوطن ويقرن هذا بالتغني بالعروبة والإسلام مازجا

[1] بطرس عودة، القضية الفلسطينية في الواقع العربي، ص 363.

[2] عبد الله الركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص 201.

[3] عبد الله الركيبي، الأوراس في الشعر العربي، ص 179.

[4] صاري الجلالي، الجزائر في التاريخ، ص 24.

بين هذه الموضوعات الثلاثة لأنّه لا يفرق بينها ولا ينظر إليها باعتبارها قضايا منفصلة بل ينظر إليها نظرة واحدة فالوطن والقومية والدين كلها بالنسبة له تعني أمرا واحدا [1].

وربما هذا ما يؤكّده البشير الإبراهيمي الذي كتب عن فلسطين وقضيتها المقالات والقصائد والبحوث حتّى وهو ينافح القضية الوطنية سنوات الخمسينيات بعد أن اشتدّت محنة فلسطين وتأزم الوضع الجزائري بسبب تصعيد الاستعمار مجتمعه؟ على الجزائر أرضا وشعبا قيما ومثلا، فكتب الإبراهيمي بعد نكبة فلسطين في 1948م مقالات عديدة عن تاريخ فلسطين وعروبتها وأحقية العرب في ملكيتها ودحض أباطيل اليهود والاستعمار الانجليزي والصهيوني وكشف خطط الاستعمار في كلّ مكان ومنذ ذلك في الجزائر وفي فلسطين، وحثّ العرب وحفّزهم على نصرة فلسطين وعدم الاستهانة باليهود ومخاطر الصهيونية وأهدافها البعيدة وتواطئها مع الاستعمار قديما وحديثا فقال في إحدى مقالاته عن الصهيونية ومخاطرها " إنّ الصهيونية فيما بلونا من مظاهر أمرها وباطنه نظام يقوم على الحاخام والصيرفي والتاجر ويتسلح بالتوراة والبنك والمصنع، وغايتها جمع طائفة قدر لها أن تعيش أوزاعا بلا وازع وقدر لها أن تعيش بلا وطن ولكن جميع الأوطان لها فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تسميه قولا فلسطين ثم تفسره فعلا بجزيرة العرب كلّها، فهو حقيقة استعمار من طراز جديد في أسلوبه ودواعيه وحججه وغاياته [2] .

وبقي الإبراهيمي يدافع عن فلسطين في كتاباته سنوات طويلة الأمر الذي يستدعي تخصصه بحثا مستقلّا في هذه القضية .

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 680.

[2] محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج02، ص 493.

ولإنصاف التاريخ فإنّ محمد البشير الإبراهيمي ومن ورائه الأدباء الجزائريين قد نافحوا عن فلسطين بحيث يندر أن نجد القصيدة تتحدث عن قضية وطنية وتركز عليها وحدها دون الربط بينها وبين القضايا العربية الأخرى [1] وخاصة منها فلسطين . ويحذر الشيخ الإبراهيمي من كيد اليهود والاستعمار الجديد المتمثّل في الصهيونية العالمية التي تغلغلت في كثير من الدول وعششت في مصادر القرار فيها وينعى على العرب مواقفهم المتخاذلة أمام الهجمة الشرسة والغريمة الشديدة لليهود والاستعمار من ورائدهم على استعمار احتلال بلاد فلسطين، ومن بعدها كلّ بلاد العرب وكأني به ينظر من كوة الغيب إلى ما نحن فيه فقال " أمعنوا في الاستعداد وأمعنتم في الرقاد واعتمدوا على العلم و (الريال) واعتمدتم على الجهل والخيال جاؤوكم بصفّ واحد كملمومة الصخر وجئتموهم بصفوف متخاذلة، جاؤوكم على قلب رجل واحد وجئتموهم بقلوب متنافرة، قادهم إلى الظفر قائد واحد ورأى الجميع وقادكم إلى العار قواد متشاكسون ورأي شتيت، ما أضاع السيادة إلا توزيع القيادة، اجتمعوا وافترقتم فسلموا واحترقتم . تالله ما ضاعت فلسطين اليوم ولكنّها ضاعت يوم وعدوا بها فركنوا إلى العمل وركنتم إلى الكلام، بل ضاعت قبل ذلك بقرون منذ نبت قرن صهيون *** فتماريتم بالنذر ولم تأخذوا الحذر " [2].

يقصد في هذه المقولة عن النوم والتخاذل الذي طال بلدان العالم الإسلامي وعن عدم الوقوف بجنب فلسطين وأنهم همهم فقط هو المال والخيال لم يقفوا وقفة رجل واحد ضد السياسة اليهودية، فلولا التخاذل والتنافر ما لبث الصهيونيون في أراضي مهبط الأنبياء، خلفوا الوعود

[1] الركيبي، الأوراس في الشعر العربي، ص 201.

[2] الإبراهيمي، عيون البصائر، ج02، ص 610.

واستنكروا وأضاعوا سيادتهم، وجعلوا بين إتحادهم نفوذ استغله الغرب والاحتلال الصهيوني بالدرجة الأولى وأن هذا التباعد لا يخلق أبدا الوحدة العربية الإسلامية.

الخلاصة التي يمكن أن نخرج بها من هذه المقالة هو أنّ الكتاب الجزائريين كما فعل الشعراء قد اهتموا بالقضية الفلسطينية منذ بداية القرن العشرين ومنذ أن بدأ الحديث فيها هامشا إلى أن طفت إلى الوجود وبرزت على السطح مع وعد بلفور في 1917/11/02م فبينوا مخاطر اليهود وكشفوا أهداف صهيونية ومعها الاستعمار بكل أشكاله فرنسيا وانجليزيا، ونظروا إلى القضية بالعمق نفسه والاهتمام ذاته الذي عالجوا به القضية الوطنية الصرفة ولم يألوا جهدا في الدفاع والاستماتة عن فلسطين وقضيتها بالقدر الذي بذلوه لقضايا الجزائر. ويمكن أن نختم الحديث بقول الدكتور عبد الله الركيبي الذي يقول " لا تعالي حين نقول إن الإنتاج الجزائري الأدبي شعرا ونثرا في هذا القرن دار حول محاور ثلاث: الوطنية، والعروبة، والوحدة العربية فلسطين " [1] .

2- تجليات القضية الفلسطينية في الشعر الشعبي الجزائري

يسعى هذا المقال إلى الكشف عن تفاعل الشاعر الشعبي الجزائري في عهد الثورة التحريرية، مع الشعب الشقيق الفلسطيني، وكيف تناول القضية في قصائده وطريقة عرضها، باعتبارها قضية تمسّ جميع المسلمين، متّخذا من ديوان الشاعر المدني رحمون نموذجا، لأنّه جنّد قلمه وشعوره وحسّه للإشادة بالأرض المحتلة إلى جانب القضية الجزائرية، واعتبارها قضية قومية واصفا معاناة الشعب

[1] الركيبي، الأوراس في الشعر العربي، ص 179.

الفلسطيني، ومنبها ومنددا بجرائم اليهود على العرب والمسلمين، في صيغ فنية جذابة وقوالب تعبيرية مثيرة تتسم بجمالية الأداء . فالقضية الفلسطينية قضية قومية ودينية، لذلك راح الشعراء على جميع مشاربهم يعبرون عن مشاعرهم تجاه احتلالها وتدنيس تربتها الزكية الطاهرة مهبط الأنبياء ومسرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى غرار المبدعين ساهم الشاعر الشعبي الجزائري في الإشادة بالقضية الفلسطينية ونصرتها ولعلّ أبرز هؤلاء الشعراء الشاعر الشعبي المدني "رحمون البسكري" (1908-1989) [1] الذي اظهر عاطفته الإسلامية تجاهها، ولم تنسيه أحداث الثورة التحريرية المضفرة التضامن مع الشعب الفلسطيني الشقيق، بل راح يندّد بالاحتلال الصهيوني وجرائمه ويرفع صوت الحرية في المحافل الدولية، كيف ومتى؟ متضامنا مع شعب يعيش المحنة نفسها، ومعتبرا في قصائده جميعها أنّ فلسطين هي مسؤولية كل المسلمين والعرب فعليهم التجنّد لتحريرها من الاحتلال الصهيوني.

نموذج من قصيدة رحمون سكري

شكونا الظلم بالأقلام دهرا ★★★★★★ فلم نظفر من الشكوى يزداد

ولم نر للتظلم من جواب ★★★★★★ سوى إغراقهم في الاضطهاد

وإن حقا سألناهم أجابوا ★★★★★★ سجن المزمعين على التمادي

[1] الشيخ المدني رحمون بن أحمد، الديوان، 1977م، ص 21.

أوّلا: فلسطين قضية قومية في الشعر الشعبي الجزائري: من القضايا القومية التي شغلت الشعب الجزائري، ومازالت إلى حدّ الساعة محنة فلسطين الحبيبة، وإحساسه بالانتماء الطبيعي والحتمي لهذه الأرض المقدسة لأنّها أولى القبلتين وثالث الحرمين، ، ولطالما تغنت بها الأمهات وناحت لأجلها العيون وانفطرت لاستعمارها القلوب، ورثاها الشعراء بقصائد طوال بل بدواوين كثيرة تعكس مكانتها في النفوس منذ القدم لكونها بلد عربي و إسلامي، يضمّ بين حناياه بيت المقدس الشريف، ومدفن الخليل فهي أرض النبوات ومسرى نبينا وحبيبنا محمد – صلى الله عليه وسلم- .

وبدأت القضية عندما فقدها العرب كقبلة ليست قبلة لهم منذ وعد بلفور المشؤوم عام 1947م، 1917وأضحت فلسطين تعاني احتلال وجبروت اليهود وتحطيمهم وتهديمهم لحد الساعة لأبرز معالمها ومظاهر شخصيتهم الوطنية العريقة، فكان الشعراء الشعبيون يرصدون أحداثها وينقلون أخبارها ويصورون معاناتها، فخلدوا شهداء ثورة 1936م " وأبطال معركة القسطل، كما أهاجوا العواطف أثناء حرب 1984م وهاجموا التقسيم، ونادوا بالثأر، وتوعدوا اليهود كلّ ذلك في شعر ينبض بالحب لفلسطين، والنقمة على أعدائها، والحزن على جزء غال من الوطن العربي يهدده الضياع، وتقاسمته الأهواء." [1]

ولا عجب أن نجد الشاعر الشعبي المدني رحمون على غرار الشعراء العرب يناصر القضية الفلسطينية من منطلق قومي وديني، وخاصة أنّه يعيش المحنة نفسها ويتقاسمان الهم نفسه ألا وهو

[1] أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط02، 1977م، 116.

الاستدمار الاحتلال الغاشم الذي يسعى إلى تدمير الشعوب وقطعها من تاريخها ونفيها من أرضها في سبيل البقاء فيها للاستفادة من خيراتها وثرواتها والتوسع فيها كأرض استثمار ذاتي، لقد تفاعل الشاعر الشعبي الجزائري مع القضية الفلسطينية رغم شغله بقضيته الثورية، إذ نجده يندّد بالاحتلال الصهيوني وبجرائمه ضد الشعب الشقيق الفلسطيني في المحافل الدولية والمؤتمرات القومية، متّخذا الشعر وسيلة للتعبير والتنديد، والقصائد تاريخا شاهدا على عمله الإنساني والبطولي.

تقدم الشيخ المدني رحمون صفوف الشعراء الشعبيين الجزائريين الذين عاصروه في مناصرة قضية فلسطين ليس بالكلمة فقط بل بنفسه، فقد تطوع بروحه وشارك في النضال ضد العدو الإسرائيلي، وانتقل إلى فلسطين، وكان تدر جبهات القتال دون خوف أو هلع او تردد، إيمانا منه بالقضية العادلة، وهذا في حوادث 1948م إبان الاشتباكات الأولى للجيش العربي من الاحتلال الصهيوني الغاشم، فخلد هذه الحادثة بقصيدة تتكون من خمس وستين (65) بيتا إذ يقول في مطلعها : [1]

بْكِي يا صحراء على صلاحْ الدِّينْ وبومدْيْنْ شعَيْبْ الكَائِنْ يا تِلِمْسَانْ

واحْزَنْ يا الأَقْصَى عن المسْلِمِين رَاحوُا عَنْكَ ما بَقَى منْ الشُجْعَان

لعلّ الملاحظ للبيتين يرى أنّ شاعرنا افتتح قصيدته بمقدّمة طللية مقتديا بمنهج الشعر الجاهلي وهندسة قصائده، إذ يطلب من الصخرة أن تبكي على ما فقد من تاريخ ومجد زاخر على صلاح الدين الأيوبي الذي حرّر بيت المقدس من الصليبيين، إذ يمثّل مضرب المثل والقدوة التي

[1] المدني رحمون، الديوان، جمع وضبط وتعليق عبد اللطيف حني، مخطوط 1993م، قصة ابكي يا صحراء عن صلاح الدين، ص 27.

يدعو إليها المدني الشعوب العربية للاقتداء به، ويطلب منهم تقديم صلاح الدين من جديد في قوته الحربية وذكائه القيادي، وهو رمز للسيادة على القدس لأنّه حررها بعد احتلالها، وإعادة العز والشرف للمسلمين بعد ضعف انتباهم وكاد يقضي مقدسات القدس.

كما يطلب الشيخ المدني المسلمين أن يقدموا رجالا مثل العالم المتصوف الديني " بومدين شعيب " الذي قضى حياته في نشر الوعي الديني، وهو رمز ديني مشترك بين دول العالم الإسلامي لانتشار طريقته الصوفية بين أهله، فقد جاب الدنيا واستقر وتوفي في تلمسان ودفن بها وأقيم له ضريح هناك والمعروف بسيدي بومدين، ثم يطالب بالحزن على فلسطين الضائعة منا، وفي هذا دلالة على تفجع الشيخ المدني على فقدان فلسطين، ويؤكّد حزنه العميق لعدم وجود المسلمين الغيورين عليها، الذين مضوا مع الأسلاف، وتظهر القومية صارخة في معاني الشاعر فيطلب من العرب الاتحاد، برفع رايتهم عالية فوق كل الأوطان، وبتحرير الأرض المقدسة، أرض الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم في سورة الإسراء، يقول تعالى: { سبحانَ الذّي أسْرَى بعَبْدِهِ ليْلَا منَ المسْجِدِ الحَرَامِ إلى المسْجِدِ الأقْصَى الذي بَارَكْنَا حوْلَهُ لنريهِ منْ آيَاتِنَا إنَّهُ هو السَّميعُ البَصيرُ} [1] .

فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين، كما يعكس لنا ثقافته التاريخية والدينية للشاعر وروحه القومية:[2]

إذا نظرنا لــمجد الأوّلـين نلقى فرق بعيد في هذا الزمان

لما كانت الــــعروبة متحدين رفعوا رايتهم حرروا الأوطـــان

جابوها من الشام أرض فلسطين كانوا على حقّ بالصدق والإيمان

[1] سورة الإسراء، الآية 01.

[2] المدني رحمون، الديوان، ص 27.

يتحسر الشيخ المدني على الماضي التليد للتاريخ الإسلامي، والذي نحن بحاجة إليه اليوم في عالمنا العربي الاسلامي، حيث تكالبت الأمم على أمة الإسلام تنهب خيراتها وتستعبد أبناءها، فالشاعر يريد إحياء البطولات والانتصارات، حيث كان للمسلمين دولتهم وقوتهم فتهابهم كلّ الأمم والشعوب، ولا تتجرأ على الطمع في أموالهم أو خيراتهم أو أراضيهم، وهذا نتيجة الاتحاد والتكاتف والتعاضد بينهم، مما جعلهم يفتحون الكثير من البلدان في كل قارات العالم، يحدوهم الصدق والإيمان وتجمعهم المحبة والقوة.

إنّ الألم والتحسر ينتابان ذات شاعرنا ويظهر من خلال تحسره على الماضي المجيد بجميع مكوناته ومشاهده وشخصياته وأبطاله، وشوقه للأرض المقدسة فينبري لوضعها وذكر المميزات الدينية القدسية فيقول: [1]

أرض الأنبياء أولـى القبلتين واذكرها لنا المولى في القرآن

بارك فيه الله الثالث الحرمين في سورة الإسراء أعطانا البيان

فرضه في سماه صلوات الدين الخمس أوقات في كل يوم للإنسان

يصف الشيخ المدني فلسطين بأرض الأنبياء لقيمتها الدينية في تاريخ الأديان السماوية، وبالتالي في قلوب الإنسانية جمعاء، فكل الأعراق تندد باحتلالها والأعمال التخريبية التي يقوم بها الاحتلال لمحو معالمها وتهويدها، فلقد ذكرها الله في القرآن الكريم في سورة الإسراء، وأسرى إليها النبي صلى الله عليه وسلم، مما زادها قدرا وتعظيما في قلوب المسلمين، وقد باركها الله تعالى فهي

[1] المصدر نفسه، ص 27.

أولى القبلتين وثالث الحرمين، وقد نالت الشرف العظيم أن فرضت الصلاة على أرضها، الصلاة فرضت في المعراج وقد ضرب التاريخ لها موعدا مع التشريف والتكريم من الله تعالى، وبهذه القيم السامية التي أشاد بها شاعرنا يشير إلى ضرورة تحريرها ومساندة قضيتها، ولفت الانتباه إلى ما تعانيه وما يجب على كلّ مسلم وعربي ليس كل عربي مسلما القيام به .

ثانيا: القيمة الدينية والتاريخية لفلسطين عند الشاعر رحمون: يستعرض الشاعر المدني رحمون تاريخ احتلال فلسطين ويقف عند أهم المحطات السياسية في قضيتها مبينا قيمتها التاريخية عند شعوب العالم وفي جميع المعتقدات والأديان وفي ذلك تتجلّى الروح الإسلامية، وعمقها في نفسية الشاعر، مظهرا كرهه المطلق لأعداء عقيدته، وموضحا خطط الصليبيين واليهود لاحتلال فلسطين وكيف هزمهم المسلمون البواسل، فكان منهم الأسرى والجرحى، والتاريخ شاهد على حروب أجدادنا العرب المسلمين في الدفاع عن فلسطين كما يتبايع الشاعر عرضه التاريخي الذي عهدناه في قصائده السابقة قائلا: [1]

أتهزمه سبع ملوك من الصليبيين خرجوا من مقام داود وسليمان

فيهم الأسرى وفيهم مجروحـين واحتلوا مصراء فاتوا للسدان

لعلّ ما يواسي به شاعرنا حاله وحال أمّته الإسلامية هو تذكّر تاريخ فلسطين الحبيبة، حيث كانت أرضها ومازالت شاهدة على مصارع الصليبيين فيها على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصلاح الدين الأيوبي، لكنها اليوم تعاني هزيمة العرب والمسلمين العاجزين عن نجدتها، إنّ

[1] المدني رحمون، ص 27.

"المدني" يسعى لاستنهاض الهمم وإيقاظ الضمائر والتذكير بالقضية التي تسعى بعض القوى إلى طيّها ونسيانها وبذلك إطالة معاناة الشعب الفلسطيني.

ولتحقيق اليقظة والحرص للمجتمعات العربية والإسلامية على شاعرنا أن يدعو إلى قراءة التاريخ المجيد وما حواه من أمجاد وانتصارات حققها المسلمون الأوائل الذين لم يخشوا في الله لومة لائم، إنّهم خاضوا المعارك وحققوا العزّة والكرامة لشعوبهم [1].

أقرؤا التاريخ يا لي سامعين هذا حرب أجدادكم ضدّ الطغيان

في معاركهم دائم منتصرين لا يخافوا الموت ولا فيهم جبان

يبدو أنّ الشيخ المدني رحمون متمسك بتاريخه ومشدود إلى حضارته العربية الإسلامية، وحزين على حال أمّته التي امتلكت هذا التاريخ بشرف وقوة وعزة، إذ نجده يتذكره بحسرة تغمرها الآلام تجاه فلسطين التي ضاعت نتيجة التخاذل والتكالب على المسلمين، ونتيجة تفرقهم وعدم توحدهم على كلمة سواء، إن المدني يرثي وضعه المأزوم، ويندب واقعه، ويسلي نفسه بتلك الذكريات الماضيات علها تعود يوما.

ويعود شاعرنا إلى تاريخ تحالف إسرائيل مع أمريكا ضد فلسطين سنة 1948م ويذكر حضوره كمتطوع وسط المعركة مع بعض إخوانه المغاربة خاصة في دير ياسين فيقول: [2]

ترجع لسنات ثمانية وأربعـين مع إسرائيل حلف المريكـــــــان

كنت حاضر فيه من المتطوعين وسط المعركة أنا وبعض إخوان

[1] المرجع نفسه، ص 27 .

[2] المدني رحمون، ص 27 (الديوان) .

إنّ تاريخ 1948 محفور في ذاكرة الشيخ المدني بوصفه كان جنديا في القوات العربية التي توحدت من أجل تكوين جبهة حرب ودفاع على الأراضي الفلسطينية لكن جهودها باءت بالفشل والخوار نتيجة مساعدة الدول الأوربية وأمريكا لإسرائيل، بل شنت هجمات على البلدان العربية المشاركة في الحملة وجازتها على عملها الثوري بالتدمير والحرق والقنابل وقتل الأهالي والمواطنين العزل دون وجه حقّ لا لشيء لأنّ دولهم دافعوا عن فلسطين الحبيبة.

ويذكر شاعرنا المدني معاناته من الحروب والمعارك التي أضنته، كما يروي لنا ما حدث على أرض فلسطين من انتهاكات لحقوق الإنسان قامت بها الدول التي تدّعي الحضارة والتقدم فيقول:[1]

كي نتفكر ما جراء في دير ياسين نبقى طول الليل ما نرقد حيران

أهل القرية عن أخيرهم مذبوحين نساء وشيوخ عزّج وصبيان

يوم القصطار عبد القادر الحسين استشهد الزعيم في شاو الميدان

لعلّ ما يدمي قلب الشاعر وما يأسف له هو ما شاهده من تنكيل وقتل وذبح لأهل القرية كلها نساء وشيوخ وأطفال، كما يذكر بعض الشهداء الذين سقطوا في ساحات الفداء، وهذه الشهادة التي يفصح عنها الشاعر غنما صادرة عن آهات نفسية عانى منها وذاق مرارتها، فتشير عروبته ووطنيته المتأججة الصادرة عن تجربة شعورية واقعية .

وينقلها المدني رحمون إلى أجواء المعركة التي كان جنديا فيها وأحد منظميها حيث أسندت له قيادة كتيبة من المجاهدين للقيام بمهام عسكرية، فيقول مفسرا ومبينا : [1]

[1] المرجع نفسه، ص 27.

كونت فرق من الفدائيين ونظمنا أفواج من أحسن الشباب

رغم الاحتياج لأمر معين لكن كافحنا ظاهر لا خفيـــــــان

يبين شاعرنا شجاعته وإقدامه وحسن بلائه في هذه المعركة، وكيف انتهج النظام، وكون فرقة من الشباب المغاربي مع الإخوة الفلسطينيين، متقدّمين ساحة الحرب، ومحاولين جهدهم إلحاق الخسائر بالعدو رغم نقص العدّة والعتاد، لكن هذا لم يثنِ عزيمتهم ويجدد من إقدامهم في سبيل تحقيق النصر، وهذا نتيجة الروح القتالية العالية التي يتحلون بها، وحبهم للقضية العادلة التي يدافعون عنها.

ويستمر شاعرنا في وصف أجواء المعركة مبديا قوة المجاهدين وإصرارهم على النصر رغم أن العدو الإسرائيلي كبدهم خسائر في الأرواح لكنّهم واصلوا تقدمهم وألحاقوا به هزيمة فيقول: [2]

معبودتهم هدمناها بلغم امتين قــوي بــالمفعول ريب الحيطـــــان

دفعنا بكل قوة مخلــصين نساء وشيوخ عزج وحدو استشهد منا

رحمهم رب راهم متنعميـن واعــدهم الله بــجنة رضـــــــــوان

يوظف المدني قاموسا حربيا يدل على مشاركته الفعلية في الحرب وعلى ثقافته العالية في الميدان العسكري، وهذا نتيجة التجربة والممارسة، ونذكر مما ورد في الأبيات السابقة (هدمنا، بلغم، قوي، قوة، استشهد) فهذه الألفاظ ومثيلاتها يعج بها ديوان المدني رحمون نظرا لأنّه أغلبه قيل زمن الثورة الفلسطينية التحريرية المباركة والتي تبين أوقات تنقل الثوار وأعمالهم البطولية، وقد استشهد

[1] مدني رحمون، الديوان، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

منهم الكثير بعدما قاموا بالمهمة على أحسن وجه، ومن المحقق فيه أن الشعر صاحب مسيرة حساة ؟؟ شاعرنا التي كان أغلبها على ساحات الوغى وفي جبهات القتال.

ولعلّ الشيخ رحمون ورفاقه يظهرون شجاعة عالية رغم استشهاد بعضهم لكنهم بكل حزم واصلوا قدما حتى إشهار الهدنة ووقف القتال التي يراها الشاعر خيانة من المسؤولين، الذين لم يقتنعوا بأن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة ومنهم (قاوب باشا) [1] من أذناب الاستعمار، ويصب الشاعر سخطه وغضبه عليهم وعلى الخائنين للوطن الذين باعوا أنفسهم للشيطان وصاروا عملاء منافقين للعدو الإسرائيلي :[2]

لما شفنا خيانات المسؤولين وانفر قال فينا قيـادة الأركــان

شهر الهدنا وقف المقاومين فرضو عنا ننسحبوا بلا عصيان

يبدو ما يفشل الثورات ويحبط العزائم ويضرب وحدة الشعوب هو الخيانات وتحالف الخائنين والعملاء من أبناء الوطن مع العدو ضدّ أهلهم وأرضهم، وهذا ما عبر عنه شاعرنا واستاء منه كثيرا، بحيث أثر عن سير الحرب ومعنويات المجاهدين الذين أقبلوا بالنفس والنفيس لتحرير فلسطين وقدموا العديد من الشهداء والجرحى والمعطوبين فداء لفلسطين، لكنّهم كغيرهم يباغتون بالخيانة من بعض المسؤولين وعرقلة الحرب وإشهار الهدنة بعدها شارفت الجيوش العربية على القضاء على العدو الصهيوني، وهذا في رأي شاعرنا مدبر ومخطط له .

[1] حاكم في إحدى القرى الفلسطينية، ذكره الشعر في مذكراته لكن لم نحصل على معلومات عن سيرته.

[2] المدني رحمون، الديوان، ص 27.

ويذكرنا المدني بالذين خذلوا القضية الفلسطينية ونضال المخلصين والمجاهدين حتى يحفظ التاريخ أسماءهم وأعمالهم الشنيعة الخائنة، وللشاعر أمانته في نقل المعلومة والعهدة عليه كشاهد على ذلك: [1]

(أقلوب باشا) أكبر المنافقين مثل ابليس ينــعلوا الشيطان

هو وانصاروا ولي تابعيـــن أذناب الاستعمار في كل مكان

إنّ هذه الأعمال الإجرامية التي قام بها الخونة يرى شاعرنا أنّها تدبير من العدو الصهيوني، وقد جنّد هؤلاء الأذناب لتكسير تحرير فلسطين وصد الجيوش العربية التي أحرزت تقدما كبيرا في جبهات القتال، لذلك شاعرنا يتوعدهم بالويل اليوم وغدا ويعلمهم أن مصير الخائن معروف منذ القديم في مآله ومعاملته وعقابه وانّه مرفوض في المجتمع لأنّ قومه قد تبرؤوا منه ولم يعد منهم : [2]

الويل ثم الويل للناس المشريـين باعوا شرفهم بأبـــخس الأثـــمـــان

عملا الصهاينة المجـــرمـين لي يخفا عنكم ربما الآن فلان وفلان يبان

تحكي عن مصار شاهدتو بالعين كانت خيانات في جـــيوش العربان

لعلّ شاعرنا رحمون استطاع أن يعبر للمتلقي عن قيمة فلسطين الدينية لديه ولدى الشعوب العربية والإسلامية من خلال التضحية من أجل تحريرها، والتقدم إلى ساحات الجهاد اقتحام منازل المعارك، وقد سنحت له هذه الفرصة التاريخية لأن يكون شاهدا على التنكيل بالشعب الفلسطيني

[1] المدني رحمون، الديوان، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

وسعي الدول المتحالفة مع إسرائيل لحرمانه من أرضه وحقه في الحرية، وقد استطاع شاعرنا من خلال شعره ان يدون هذه الحقائق التاريخية للأجيال القادمة.

ثالثا: وصف معاناة الشعب الفلسطيني الأعزل: يعرج المدني في قصيدته على الحديث عن الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وطردوا إلى العراء، وذاقوا الجوع في حالة مزرية، وسكنوا المخيمات وأصبحوا لاجئين بعدما كانوا آمنين في ديارهم وبلدهم فلسطين، لكنهم اليوم أضحوا غرباء مشتتين بين الدول والأراضي، لا راع ولا أرض ولا دار ولا وطن يأويهم وهذا ما آلم شاعرنا: [1]

مرت سنوات أحد وعشريـــــن وأحنا ننتظروا رجوع السكان

خرجوا من درايهم بدون أعــوين فالعراء والجوع حالتهم تشيان

تركوا كل أرزاقهم مشردينصبحو عصابة صهيون احتلو المكان

إنّ هذه الأبيات تعبّر عن واقع حقيقي عاشه المدني رحمون وشهد أحداثه، مما يولد الكراهية والحقد الدفين ضد العدو الصهيوني وكل مستعمر يسعى إلى تشريد الناس وترويعهم وقتلهم من أجل مصالحه، والاستدمار الفرنسي منهم الذي عاث فسادا وتنكيلا وقتلا في الجزائر، لذلك لا تعجب من كثرة الرقرات العرى المحرقة التي تعتلي صدر الشاعر، والتي تتدثر بها نصوصه الشعرية الثورية لأنّ مبعثها أعمال وجرائم الاستعمار في فلسطين وفي وطنه الأمّالجزائر، فيصفه بأشر النعوت وبأقبح الصفات مثل الصهاينة الأنجاس .

[1] المدني رحمون، الديوان، ص 27.

كما يلوم الشاعر تخاذل العالم على نصرة القضية الفلسطينية، حيث تنكرت لها كلّ القوى العالمية في الأمم المتحدة، ولم تمنحها حقها في الحماية الدولية، فقد تكالبت عليها القوى (العالمية) الأوروبية والأمريكية ولم تمنحها المساندة العسكرية، لأنّ إسرائيل هي المسير الخفي لهم: [1]

باقي في انتظار حل الطرفين جمعية الأمم إنهـــا بهتان

أمريكان وبريطانيا متفقـين أكبر مجرد في العالم المريكان

منبع الاستعمار هذا الدولتين تذكر في مقال مشروع ترومان

من خلال الأبيات السابقة يستنكر رحمون ما قامت به الدول المتحالفة ضد فلسطين تحت مظلة الأمم المتحدة، حيث خذلت الشعب الفلسطيني وتركته مشردا بين الدول وساعدت إسرائيل على اغتصاب القدس وافتكاكها من أهلها دون وجه حق، وهذا من أجل استكمال المشروع الاستدماري في الدول العربية وهو مشروع ترومان الرامي إلى تهويد العرب وإخراجهم من أوطانهم، وهذا ما يخدم الدول الاستدمارية .

رابعا: التنبيه من خطر هجرات اليهود لفلسطين: لقد عمل اليهود الصهيوني منذ أن وطئت أقدامه أرض القدس الحبيبة إلى تهويدها، وذلك عبر مخطط يمتدّ حقبات تاريخية طويلة، وعبر إجراءات وطرق استعمارية شيطانية متعددة، ذات صيغة يهودية وكيدية، ولعلّ أولها كان الوجود العسكري في فلسطين، ثمّ شنّ الحروب للاحتلال والسيطرة و إحكام القبضة على الأراضي الفلسطينية وترويع أهلها وقتلهم وممارسة العنف بشتى أنواعه من أجل طردهم من أراضيهم،

[1] المرجع نفسه، ص 27.

والاستيلاء عليها وتعميرها بجلب اليهود من شتى أصقاع العالم، وهو ما يسمى بالاستيطان الذي اتخذته إسرائيل كوسيلة للقضاء على الشعب الفلسطيني وإبادته من الوجود يضاف لها القتل والخطف والأسر وهذا ما نبه إليه شاعرنا المدني رحمون: [1]

هجرة اليهود إلى فلسطين عشرات الآلاف يمشو بالضمان

يعطوهم مساعدة بالملايين وما يلزمهم من منح الإسكان

فالشاعر ينبه إلى خطر هجرة اليهود إلى فلسطين لتعميرها وطرد أصحابها، إذ يوضح أن السلطات اليهودية تقدم لهم كل التسهيلات والمساعدات حتى يستقروا في القدس وينتشروا في الأراضي الفلسطينية بل يعطونهم حق التملك والجنسية وكل الوثائق الضرورية، مع توفير الأمن والحماية، ويبين الشاعر من سن هذه الخطط وساعد على تنفيذها، بل قدم الدعم اللوجستسي للعدو الصهيوني فيقول: [2]

حلف الأطلسي والمؤيديـن حتى دولة ما بقى فيها أمان

فوقوا يا عرب يا لي راقدين وافطنوا من نومكم الوقت حان

وفي هذا الوضع الخطير الذي يهدد فلسطين يوجّه المدني نداء للعرب بأن يعدوا العدة ويستفيقوا من سباتهم ويشدوا على وحدتهم التي منها عروبتهم لأنّه " يرى أنّ العروبة شيء يربط كل أبناء الأمّة الواحدة، وأسباب الوحدة بينهم أكثر من أن تحصى، فمهما فعل الاستعمار،

[1] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 28.

وأذنابه من حواجز لتهوين العدى، فالانتماء مستمر برغم الكائدين" [1]لذلك ينبههم إلى الخطر المحدق بهم من الحلف الأطلسي والمؤيدين له، وأن يدعوا نزاعاتهم واختلافاتهم جانبا وأن يهبوا لنجدة أوطانهم من الحملات الاستدمارية التي يشنها الغرب الصهيوني على الإسلام والعروبة، ويسعى باتحاد وقوة للنيل من الأوطان العربية، فالشاعر ينهى عن الخذلان والكسل وعدم التعاون والشقاق بين المسلمين لأجل قضايا تافهة لا اعتبار لها:[2]

راكم في خطر وأنتم نعسانين يزيكم من التنازع والشتمان

حلو عينيكم كونوا متأهبين بركاكم من الوهم والكسلان

ويلقي المدني رحمون اللوم على العرب الذين – في رأيه – تخاذلوا عن نصرة الانتفاضة، واغتروا بالإدعاءات اليهودية وإعلامهم الذي يسعى جهده بإعلامه ووسائله الدولية للتقزيم من القضية، وتشتيت الرأي العام والمتعاطفين معها من أبناء العالم من الاهتمام بها إلى قضايا هامشية أخرى: [3]

هذا عيب وعار عنكم أجمعين طاحت سمعتكم في كل البلدان

أمام العدو صرتم مذلولينأكبر مذلا وقعت في الجيران

يعيب المدني رحمون على العرب المتخاذلين المتفرقين الخائنين للقضية الفلسطينية، الذين تفرقوا لأجل مصالحهم الخاصة والضيقة ولم يقدوا واجبهم نحوها باعتبارها قضية عربية وإسلامية

[1] كمال عجالي، مصطفى أبو بكر بن رحمون حياته وشعره، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط 1991م، ص 187.

[2] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

[3] المصدر نفسه، ص 28.

تعني كلّ الشعوب، وهذا الموقف من العرب أضحت كلّ الأمم تسخر منه، ويتعجّب الشاعر من هذا الحال الذي آلت فيه شرذمة من اليهود تتحكم وتأمر في امّة عتيدة وقوية وكبيرة مثل العرب:[1]

كمشة من اليهود متجبرين دخلوا عنكم بالقوة في شهر جوان

عام الهزيمة سبعة وستين الجيش إيرادي رهبكم بالطيران

وحدوا صفوفكم يا غافلين طـــهروا بلدانكم من الخيان

يثمن المدني قيمة الوحدة والاتّحاد في القضايا المصيرية ولو كانت عند العدو الصهيوني الذي جمع قواه الضالة وانتصر في الأخير، لأنّه نهج التخطيط والاتحاد لتنفيذ مشروعه الاستيطاني ونجح فيه، والعرب عكسه فقد تشتت قواهم وخارت جهودهم وكان الفشل مصيرهم وتفرقت بهم الأهواء، وكانت النتيجة ضياع القدس وتشريد أهلها.

فالمدني يسعى من خلال هذا الخطاب إلى استنهاض الهمم وشحن العزائم لنصرة القدس ولم شمل العرب الذي بات متفرقا، كل فريق بما لديهم فرحون، منطلقا من واقع عاشه ولمسه واكتوى بحرقته، فالمدني عاين الوضع بنفسه، وخبر ما يجري في فلسطين وباشر ما يعانيه الشعب الفلسطيني، متخذا من اللغة الشعبية مطية للتنبيه والتنويه لخطر اليهود ومخططاتهم لكسر آمال العرب والمسلمين في القدس.

خامسا: الإشادة بموقف الجزائر من القضية الفلسطينية: يبين الشيخ المدني رحمون موقف الجزائر من القضية الفلسطينية معبرا عن تضامن الشعب الجزائري معها في حرب 1967م، وذلك

[1] المصدر نفسه، ص 28.

بتجنيد المتطوعين والمجاهدين للدفاع عنها والذود عن حماها، ويوضح أنّ الجزائر كانت السباقة لنصرة الفلسطينيين، حيث بجميع الوسائل لرفع صوتها عاليا في المحافل الدولية حيث يقول: [1]

ومن المحيط إلى الخليج مستعدين والجزائر كانت أول البلدان

عن أرض المقدسة مســـبليـن نفدوها بأرواحنا والحق يبان

لعل البيتين السابقين يوضحان قيمة المشاركة الجزائرية في حرب فلسطين ومدى حب الشعب الجزايري للقدس الحبيبة التي يراها قطعة قدسية يهمه أمرها، ومن واجبه تحريرها، إذ الشعب الجزائري ذاق مرارة الاستدمار وعلم مدى الخراب الذي يخلفه في البلدان، كما أنه يعرف قيمة الحرية للأوطان والشعوب، فالجزائر جعلت من أولياتها نصرة القضايا العادلة وأوّلها فلسطين، وهذا ما يؤكّده ذلك الدكتور أبو القاسم سعد الله: (هناك قضايا عربية كثيرة عاشتها الجزائر في أدبها، وفكرها في أعصابها، وجهادها منها قضية فلسطين، واستقلال أجزاء من الوطن العربي كالسودان، وليبيا، وثورة مصر، وإنشاء الجامعة العربية والمعارك الأدبية ومناسبات التكريم والتأبين لعظماء المشرق من كتاب، وشعراء، وقادة ومصلحين) [2].

ويستمر الشاعر في إظهار موقف الشعب الجزائري وحكومته من القضية الفلسطينية، ويبين مدى الثقافة حولها، إذ يعتبرها قضيته ومصيرها مصيره دون مزايدة أو مقايضة: [3]

من يفكر مثلنا عن فلسطيــن يوقف موقف بصراحة للعديان

[1] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

[2] أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، ص 115.

[3] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

احنا الشعب والحكومة ثائرين كل آخر منا مصمم لا رجعان

يتحدى الشيخ رحمون أي موقف كان مشرفا مثل موقف الجزائر في نصرة فلسطين، حيث كان صريحا مستنكرا جرائم الصهاينة وكاشفا أعمالهم التخريبية ورافعا راية الحق في المحافل الدولية، كما قاطعت الجزائر إسرائيل كموقف إجرائي مساند لفلسطين، وأقيمت الحكومة الفلسطينية المؤقتة على أرض الجزائر وكانت إذا عنها تبث على أمواج القناة الوطنية، فهذه المبادرات وغيرها تعبر عن شديد الالتفات حول القضية ونصرتها ورغبة الجزائر حكومة وشعبا في تحرير القدس الحبيبة .

ويؤكّد المدني قدرة الجزائريين على الحرب فقد خاضوها وجابهوا أقوى الجيوش العالمية بعتادها وعدتها، لكنها خارت أمام اتّحاد جيش التحرير وإيمانه وتصميمه على كسب معركة التاريخ، وقد دفع الجزائريون مليون ونصف مليون شهيدا فداء للحرية، فهم خبراء بذلك، باعتراف الدول الأوربية وأمريكا، إذ يطلب شاعرنا من الفلسطينيين الاستفادة من حرب التحرير فيقول: [1]

في حرب العصيان متدربين ضرب المدفع نعرفولو بالميزان

شوفو ثورتنا فاتت سبع سنين وانتصرنا على العدو هذا برهان

كذلك اليوم رانا موجودين قولا وفعلا ظاهر التبيان

يدعو شاعرنا الفلسطينيين وكل المضطهدين أن يأخذوا العبرة من الثورة التحريرية المباركة التي دامت سبع سنوات من الحرب المكثف على العدو الفرنسي، واستطاع جيش التحرير أن

[1] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

يفتك منه حريتها واستقلالها بواسطة الحرب وتقديم الشهداء الذين ضحوا في سبيل الوطن والشعب الجزائري يساند فلسطين قولا وعملا ومستعد للتضحية كذلك في سبيل تحرير القدس انطلاقا من نزعة دينية وقومية موجودة (في أبناء الجزائر، ويزداد إلحاحها على توكيد وجودها، وعلى الوفاء لعهودها على الزمن)[1].

ويستند شاعرنا إلى عامل مهم في تحقيق النصر إذ لا يكفي العمل وحده فقط بل لابدّ أن يوازيه الاعتقاد بأنّ النصر من عند الله تعالى وحده لقوله:{ يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنوا إنْ تنْصُروا الله ينْصركُم ويثبّتُ أقدَامَكُم}[2]وتمامه الصبرعلى مشاق الحرب وتعب الجهاد، والثقة في الله بأنّ نصره قريب للمؤمنين وناصر للحق ولو بعد زمن : [3]

النصر بإذن الله محققيـــن ثيقتنا بالله بالصبر والإيمـــان

نعتصموا بالله ربّ العالمين باب الفتح يكون من عند الرحمن

إنّ شاعرنا يركز على الجانب الديني في الحديث عن الثورة التحريرية الجزائرية ويسعى إلى توجيه الفلسطينيين إلى الاقتداء بها، وأن يحذوا حذوها في تحرير بلدهم من العدو الإسرائيلي، كما يدعوهم إلى الاتحاد والالتفاف حول قضيته مصداقا لقوله تعلى:{ واعتصمُوا بحبلِ الله جمِيعا ولا تَفَرَّقُوا واذكُرُوا نعمةِ الله عليكُم إذ كُنْتُم أعداء فألّف قلوبكم فأصْبَحْتُم بنِعْمَتهِ إخوَانَا وكُنْتُم على

[1] صالح الخرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 258.

[2] سورة محمد، الآية 07.

[3] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

شفَا حفرَةٍ من النَّارِ فأنْقَذَكُم مِنْهَا كذلكَ يبين الله لكُم آياتِهِ لعلَّكُم تَهْتَدون} [1]. وسيكون النصر نصيبهم ويتمتعون بالحرية مثلما تنعم بها دول العالم بأسره.

ويراوح رحمون في حديثه عن الثورة القيم الدينية وأبعادها، ويربط المتلقي بالعالم الإيماني الذي ترتاح فيه الأنفس وتهدأ في رحابه الخواطر، ويستكين العقل في التسليم لقدرة الله تعالى، وفي هذا السياق يرفه شاعرنا ألف التضرع لله تعالى أن ينصر ويحرر فلسطين، ويفك عنها الأغلال، ويحرم شعبها من التشتت والضياع أن يجمعه في بلده آمنا مستقرا مثل شعوب العالم، وأن يهلك الصهاينة المحتلين:[2]

القدرة والإرادة فالكونين لا شريك معاه فالأنسي والجاني

تحيا فلسطين والفدائيين تسقط إسرائيل عدوة الأديان

ولا يخالف شاعرنا المدني رحمون تقاليد الشعراء الشعبيين الجزائريين في خاتمة قصيدته، معلنا عن تاريخها وخطها في النظم إذ يقول: [3]

تميت الأبيات في ليلــة الاثنين المدني رحمون سكتاه الزيان

نختم بالصلاة على النبي الأمين محمد شفيعنا طاها عدنــان

يعلن شاعرنا عن نهاية قصيدته التاريخية المساندة للقضية الفلسطينية، موثقا تاريخ الانتهاء منها (ليلة الاثنين) وصاحبها وهذا ما جرت عليه تقاليد النظم في الشعر الشعبي الجزائري، ويصلي

[1] سورة آل عمران، الآية 103.

[2] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

[3] المدني رحمون، الديوان، ص 28.

ويسلم على النبي الأمين كخاتمة دينية على الانتهاء من القول وقد نقل أفكاره كاملة، للمتلقي، وهذه الأبيات تبين رضاه عن نظمه ووصوله لما كان يطمح إليه وبذلك غلق مجال النظم .

وخلاصة القول أننا ندرك من خلال شعر الشيخ المدني رحمون الارتباط الوثيق بالأمّة العربية وأحداثها العديدة، وأبرزها قضية فلسطين إذ " عبّر ما أمكنه التعبير عن وجدانه، ووطنه– الجزائر– نحو الأمّة العربية، وألد انتماءه لهذه الأخيرة وكأنه بذلك يرد على المتقولين الذين يزعمون أن الجزائر أمة قائمة الأركان أو أنّها تابعة لفرنسا، وإثبات بأدلة كثيرة مع عراقتها في العروبة، والإسلام، وعدد عناصرها منها اللغة، والدّين، والمصير، والأهداف، والأوضاع الواحدة التي سلطت عليها بالقصد"[1] ومما لاحظنا على شعر المدني رحمون القومي لجوءه إلى الماضي والتغني به والاعتراف بأمجاده، وجعله مادة للانطلاق ووسيلة التحفيز وبعث همم الشباب وتذكير ضمائر الشعب الجزائري والبرهنة على عراقته، إذ يقول الدكتور عمر الدقاق في هذا الشأن: " إنّ من الشعر القومي ما كان شديد الشبه بالشعر الحماسي القديم الذي يتسم بالطابع الذاتي الغنائي، وتتجلى فيه أيضا مشاعر الجماعة على السواء"[2].

وقد بث المدني رحمون في قصائده القومية قضية الانتماء والانتساب العربي للوطن الجزائري، فلا نكاد نعثر على قصيدة قومية أو وطنية ثورية إلا ونجد هذا الولاء المميز للمشرق العربي المسلم والانتقال إلى همومه ومشاكله وأحداثه، فينشغل بتطوراتها وينفعل لتغيراتها وكأنها تحدث على أرض الجزائر.

[1] كمال عجالي، مصطفى أبو بكر بن رحمون، ص 190.

[2] عمر دقاق، نقد الشعر القومي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1978م، ص 32 .

الفصل الثاني

رمزية فلسطين في الأدب الجزائري المعاصر

المبحث الأوّل: الرمز في الشعر الجزائري المعاصر

سنحاول في هذه المحطة أن نعرض لعنصرين أو إشكاليتين، الإشكالية الأولى تخص العلاقة بين كلّ من الرمز والشعر بشكل عام أما الإشكالية الثانية فتخصّ تجليات الرمز في الشعر العربي المعاصر.

1- الرمز والشعر:

الشعر صياغة وتصوير يتجاوز بها الشاعر إطار النظام الذي عادة ما ينحصر في الشعر التعليمي أو شرح بعض المنظومات العلمية، كما أن الشعر عرف بأنه كلام موزون مقفى (الشعر العربي) دال على معنى ويكون أكثر من بيت ويشمل هذا التعريف النظم وقال بعضهم هو الكلام الذي قصد إلى وزنه وتقفيته قصدا أوليا فأما ما جاء عفو الخاطر من كلام لم يقصد به الشعر فلا يقال له شعر وإن كان موزونا، والشاعر يتناول المعاني ويحملها بألفاظ يلبسها بها حلة جميلة يؤثر في سامعيه ويسلب خيالهم وعواطفهم بما يحققه من متعة فنية لهم وبملامسة للمعنى بطريقة شعرية غالبا ما ينأى عن التصريح والاكتفاء فيه بالتلميح، والرمز في القصيدة الحديثة مرتبط بالمجاز، وتعدّد السياقات الدلالية في النص الواحد وتنوع طرق المجاز يكاد يكون ثابتا نظريا يعني مفارقة القول المصطلح، وكل ما هو في البدأ مجازي يصبح بعد تداوله حقيقة، أي يتحول إلى إمكانية تغير، فهو من المتغيرات التي يتحتم على المبدع أن يبدلها كي يؤسس مجازه الإبداعي الذي به يدنو من بلاغة التعبير على حد وصف الجرجاني للمجاز " بأنّه أبلغ من الحقيقة " .[1]

[1] ينظر: عبد الله محمد الغذامي، شرح النص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، 1987م، ص11.

لقد ارتبط الشعر بالرمز والشعر بالإيحاء وارتبط مصطلح الرمز بالرمزية، وكان منه أن وهب ومنح اسمه لها كحركة أدبية وفلسفية " والرمزية مذهب مثالي يرى العالم الخارجي من خلال الذات ويردّه إليها وأنّها طريقة في الأداء الأدبي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر وإثارتها بدلا من تقريرها أو تسميتها أو وضعها، ولم تعرف الرمزية على هذا الوجه إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد ظهرت الحركة الرمزية في الشعر في فرنسا بين عام 1980م وعام 1900م على وجه التحديد وأهم روادها (بودلير، فرلين، رامبوا، مالارميه... وغيرهم) [1]

أما عن الشاعر العربي فإنّنا نجده منذ القديم عرف الإيحاء والإيجاز والتعبير غير المباشر وقد عرف العرب الرمز بنوعيه العام والأدبي، الرمز لغة كما ورد في المعجم الوسيط الإيماء والإشارة والعلامة وفي علم البيان الكناية الخفية مذهب في الأدب والفن ظهر في الشعر أولا يقوم بالتعبير عن المعاني بالرموز والايحاء ليدع للمتذوق نصيبا في تكميل الصورة أو تقوية العاطفة، ولا يختلف تعريف الرمز لغة واصطلاحا عن بعضهما، فيعرف اصطلاحا كمذهب أدبي ينحو المنحنى الفلسفي إذ يتم من خلاله التعبير والإفصاح عن التجارب والحالات بشكل غير مباشر وفي نظر بعض الأدباء أن هذه الحالات لا تستطيع اللغة تمثيلها.

أما الرمز العام فهو شائع في أدبهم شعرا أو نثرا على اختلاف عصورهما وعادة ما كان ذلك التعبير تعبيرا عن فكرة أو رأي إمّا بتشبيه أو استعارة أو كتابة أو ما ماثلها.

[1] ينظر: امية حمدان حمدان، الرمزية والرومانتكية في الشعر اللبناني، منشورات الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د.ط، 1981م، ص 28.

وفي التراث العربي القديم كذلك ارتبطت بعض الدلالات برموز معينة عبر عنها العربي في شعره ونثره، فالقط الأسود والبوم والغراب نذير شؤم، وقد ارتبط رمز أسطورة الغول بالتخويف والتهويل، وكذا الحال بالنسبة لرموز الشياطين والآلهة وتكتفي بما أوردته ثناء أسس الوجود من وجود علاقة رمزية بين الأفعى والإنسان العربي القديم.

إنّ هذه الإيحاءات الرمزية قد انعكست في إبداعات القدامى ولكن لم ترقَ إلى تلك الاستعمالات لمستوى التوظيفات الفنية التي عرفها الشعر في العصور اللاحقة. العصر الحديث [1]

اتّجه الشعر العربي الحديث والمعاصر لمعانقة الرمز كملمح فنّي رغم ما أحيط به من غموض وتستروا وراءه لمعالجة قضايا راهنة واستعانوا في ذلك بأدوات تصويرية ولغوية حاولوا بها ملامسة المعنى والتأثير في المتلقي، وكانت الرموز على اختلاف أنواعها جزئيات مهمة للصور الفنية والأساليب التعبيرية الجديدة وأصبح الشاعر يتكئ عليها لكسر مباشرية التجربة والانتقال بعالم النص الشعري إلى آفاق عليا تنأى عند كثير من التجارب المتكررة المستهلكة التي أصبحت قوالب جاهزة مستحضرة من بيئات بعيدة عنّا لا يضاف لبصمة الماضين بصمة جديدة مما أدّى إلى التفكير في صياغة ذات الشعر لنفس حداثي جديد ولكن هذه الحركات التجديدية المتطورة لم تقطع صلتها بالقديم ولم تبت حبالها من حباله، ولم تحاول أن تبدد الرصيد الضخم الذي خلفه لنا أسلافنا الكبار في خزائن التاريخ، بل حاوروا كثيرا من الرموز الأسطورية والتاريخية المستحضرة من بيئات مختلفة ومتباينة .[2]

[1] ينظر: فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1997م، ص 11.

[2] ينظر: يوسف خليف، أوراق في الشعر ونقده، دار الثقافة، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 91 .

لقد اتّجه بعض الشعراء الروّاد في البداية وعلى رأسهم، السياب، البياتي، أدونيس، يوسف الخال، عبد المعطي حجازي، صلاح عبد الصبور وغيره اتّجهوا إلى مطابقة تجاربهم بتجارب غيرهم ممن سبقهم في الضفة الأخرى لكن سرعان ما تأكّد لهم أنّهم يمكنهم الاستغناء عن بعض ذلك الأثر الذي ارتسم في أشعارهم، ولا وشيجة تربطه بتاريخهم ولا حاضرهم فتجاوزوه إلى غيره، مع بقاء بعضهم ينهل من ذلك المعين ويحاول تطويعه بما يخدم واقعه وتأزمه النفسي، فكانت لهم رموزهم الخاصة التي اعتمدوها، من تاريخهم وتراثهم استخلصوها من بيئتهم دون إعلان الجفاء المعلن والتام للتراث الإنساني العام الزاخر في بعض جوانبه واستمر تبني توظيفه الرمز والتكثيف منه في المتن الشعري العربي الحديث .[1]

2- تجليات الرمز في الشعر الجزائري المعاصر:

إنّ الرمز يهدف بطابعه إلى أكثر من التواصل أو بالأحرى، هو يهدف إلى التواصل من نوع آخر أعلى وأغنى، يتعاون كلّ من الذهن والذوق والذاكرة لبنائه عند الشاعر أو لاستقباله عند المتلقي، فالرمز ضرب من التعبير يعتمد اللغة وسيلة ولكنّه يخلقها من جديد، يرسم خطّ مساره بمحاذاة لغة التواصل، قد يقاطعها أحيانا ولكنه لا يطابقها وفي أثناء ذلك يبتكر لنفسه ملامح خاصة مرتبطة بالرؤيا الخاصة المفقودة فيما عداه ودلالة أكثر خصوصية تعجز اللغة العادية عن أدائها بمثل أدائه.[2]

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص 92 .

[2] ينظر: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، ط02، 1978م، ص 136-137.

إنّ الرمز ينطلق من الواقع متجاوزا إياه ومعيدا تشكيله ليصبح وجهه الفني الجديد، تقول فيه الذات كلمتها وفي الذات تنهار معالم المادة وعلاقتها الطبيعية لتقوم على أنقاضها علاقات جديدة، مشروطة بالرؤيا الذاتية للشاعر وهذا ما يجسد علاقة الرمز بالمعاناة.

وبالتالي فالرمز أداة فنية جدّ فعالة يوظّفها الشعراء لتغذية تجاربهم الشعرية، يقول غنيمي هلال: "الرمز لعناه الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة في دلالاتها الوضعية" [1].

يقصد بأن الرمز هو كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة إنما بالإيماء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها وعادة يكون هذا الرمز بهذا المعنى شيئا ملموسا يحل محل المجرد.

والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء، بحيث المشاعر عن طريق الإشارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح.

ومن جهة أخرى قد يشبه الرمز الإشارة أو العلامة عند البعض ولكن المصطلحات مختلفة فيما بينها بحيث أنّ لكلّ منها مدلولا خاصا بها، الإشارة Signe محددة المعنى أمّا الرمز symbole فمبهم؛ الإشارة تعبر عن معنى معروف ومحدد في الذهن بينما الرمز يعبر عن معنى غير معلوم مسبقا، مجهول عند المتلقي، ثم تأتي العلامة Mark باعتبارها ترتبط بمدلول خاص بدورها وقد تكون قريبة المدلول من الإشارة ولكنها تبتعد عن مفهوم الرمز الشعري الذي نحن بصدد الحديث عنه لكن لا

[1] غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، د.ط، 1983م، ص 398 .

ننسى أن الرمز قد نشأ مع كلّ من العلامة والإشارة على الرغم من أنّه يرتبط بالتفرّد والابتكار إلّا أنّه يحقق من هذا المنطلق عنصر الإدهاش الذي يبحث عنه الشاعر المعاصر إنّه يريد من نصه أن يحدث في المتلقي زلزلة مع بداية فعل القراءة.

إنّ النص الذي يعجز عن تحقيق ذلك لا يستحق أن يقرأ، لذلك جاء الرمز لكي يساهم في هذا باعتباره ينطلق من المبهم والمجهول وبهذا فبقدر ما يقترب الرمز من الشعر تبتعد الإشارة والعلامة بمدلولهما عنه [1] .

لقد حاول الشعر الجزائري المعاصر مواكبة هذا المدّ الفنّي وهذه التجارب الشعرية الجديدة فسعوا إلى التعامل مع الأسطورة والتاريخ والطبيعة تعاملا رمزيا وكثرت توظيفات الرمز في المتن الشعري الجزائري وكان لهم بعض خصوصيتهم في التعامل مع التراث بشكل عام رغم عدم إخفاء كثير من الشعراء تأثرهم برواد الشعر المشرقي، مع بيان أن كثيرا من المتون الشعرية الجزائرية وعن دلالة كثير من الرموز وسعت لتوظيفها في بناء رمزي متنوع، كما أعطوا لبعض الرموز دلالات جديدة صبغوها برؤاهم وأبانوا قدرة اللغة على أداء وظيفتها التوصيلية [2]، وعليه فالشعر الجزائري حاول مسايرة هذا المد الإبداعي، واتّجه لتوظيف الرمز توظيفات فنيّة فعمد إلى التكثيف والضغط على عنصر اللغة للتواصل مع الحديث وتشكيلاته في عملية بناء النص ومحاولة الاندماج فيه، ثم اختيار السقوط أحيانا في الغموض وإثقال هوامش القصائد بالإحالات والشروح والإبقاء على بقية التجاوب والعلاقة التي تربط بمتلقيه، بعدما أصبح القلق ملازما للشعراء، وأحسّوا غربة عن أوطانهم وعن ذواتهم فحاولوا

[1] ينظر: المرجع السابق (محمد فتوح أحمد)، ص 139.

[2] ينظر: المرجع السابق (يوسف خليف)، ص 98.

الانفلات من عبء واقعهم والانغماس فيه في مجالات كثيرة، وحقل الرمز والدراسات الذي تناوله هذا الشعر حقل لم يزل متسعا لجهود أكبر ودراسات أعمق باعتباره ملمحا فنيّا لم تستوف كثير من جمالياته ولم تؤت حقها من العناية والبحث [1]

قصيدة بدر شاكر السياب "قافلة الضياع" وفيها يستخدم الشاعر شخصيتي قابيل وهابيل رمزا للصراع بين الخير والشر حيث يقول[2]

أرأيت قافلة الضياع ؟ أما رأيت النازحين

الحاملين على الكواهل من مجاعات السنين

آثام كل الخاطئين

النازفين بلا دماء

السائرين إلى الوراء

كي يدفنوا هابيل وهو على الصليب ركام طين قابيل أين أخوك أين أخوك.

وفي محطّة أخرى فقد بقيت الرموز الشعرية التي عرفها الشعر الجزائري قبل 1980م محافظة على مكانتها عند الشاعر الجزائري بعد هذا التاريخ، ولكن في هذه المرحلة الثنائية حاول الشاعر الجزائري أن يدخل ميدان التجريب في الرمز مثل باقي العناصر الشعرية الأخرى، وبذلك يكون قد جسّد شوقه

[1] ينظر: محمد قري، مسار الرمز وتطوره في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، علوم في الأدب العربي، 2001م، ص 02.

[2] قافلة الضياع

على الإبداع والابتكار، هو لم يقد مكتوف الأيدي أمام رموز احتلّت النص الأدبي الشعري منذ الثورة وما قبلها حتى عند الشعراء في الأقطار العربية الأخرى، انطلق من تلك الرموز محاولا منحها حياة جديدة تتنفسها في كل نص جديد، ويأتي الأوراس على رأس هذه الرموز من حيث كونه شاهدا على تاريخ أمة، بل محول مجرى هذا التاريخ، فجعل الجزائر أمّ البطولة والبطالة وقبلة الأحرار في عالم عانى ومازال يعاني من الظلم والاستبداد .

تعتبر الأوراس الزمان والمكان والتجربة والمخاض، الوطن، والحرية، الأرض المقدسة التي باركت الأحرار فباركوها،لقد بلغ عشق الشعراء للأوراس درجة العبادة، وفي كتب عزّ الدين ميهوبي في مقدمة ديوانه:

في البدء ... كان أوراس

لماذا الأوراس ؟ ... لماذا انطلق من الأوراس.

لأنني أرفض رموز الزمن الفرعوني والإغريقي وأزمة الألوان الموبوءة

التي لا تنبعث منها رائحة التراب.

ويقول أيضا:

لأنني أرفض كلّ الطقوس التي يمارسها العالم، ما عدا طقوس الوطن والشهداء. وأولئك الذين يحملون الكلمة بين ضلوع وأفئدة تنبض أصالة وأصالة [1] .

[1] ينظر: عزّ الدين ميهوبي، في البدأ كان أوراس، دار شهاب، عمار القرفي، باتنة، ط01، 1985م، ص 05 .

وما أجمل القصيدة حين يكون الرمز فيها وطنا وبقايا حلم أوراسي، فالأوراس قصيدة الأزمنة التي تمتد من الذرة الأولى إلى سفوح الجبل الناسك في معبد هذه الأرض الطيبة .

وهناك بيت شعري عن الأوراس بقلم عز الدين ميهوبي:

أوراس شقّ من المواجعِ أضلُعِي ** ** فنفخت من روحي وبان الموسم

الأوراس عند ميهوبي من خلال هذا البيت هو تلك القوة الغيبية الجبارة والخيّرة التي شقّت أضلعه، إنّ الأوراس هنا وبكل ما يحمله من دلالات يقوم على رمز آخر تبعثه من أعماق الذاكرة عبارة" شقّ من المواجع أضلعي" عبارة تحيلنا إلى حادثة شقّ الصدر التي تذكرها السيرة النبوية، وبذلك يجدد الأوراس من طبيعته الجامدة ليلحقه بعالم الملائكة.

أما الأوراس عند محمد الصالح يحياوي فهي ترتبط برموز عربية أخرى تنبض في عروقها نفس الدماء وتتعالى فيها نفس الرايات وتصدح في سمائها نفس الحناجر، يافا وغزة عندما يسألني الأطفال عن " يافا"

عن الأوراس عن غزة

تصب النار في صوتي

ويغدو الحرف سيافا[1]

[1] ينظر: المرجع السابق (عز الدين ميهوبي)، ص 06 .

إنّ الأوراس الذي غذّته دماء جزائرية قد هللت وكبّرت له قلوب عربية وأشجاره التي تمتد جذورها في أعماق الجزائر تعانق أغصانها أغصان أرز لبنان في عنان السماء، فتمتد ظلالها على يافا وغزة مهدهدة إياهما كصبيين حالمين أو كعملاقين جلسا من تعب المسيرة ليسترجعا أنفاسهما.

إنّ أسئلة الأطفال عن هذه الأماكن هي تأكيد على البطولة نارية في أعماقها، وإذا كان الأوراس عند الشعراء السابقين جزائري المولد والنشأة، فإنّه عند "يحياوي" ممتدّ الجنبات إلى المشرق، منبت العروبة، والأوراس الرمز في المقطع السابق محاط بمجموعة من الرموز التي ينهل منها فنيته: الأطفال، النار، الحرف، سيافا وحينما تتعانق هذه الرموز يتحقق الانعتاق الذي لا مفر منه.

فيما يخص الاوراس من "منظور دراجي" سليم فإننا نلمس ملامح جديدة تماما في شعره لم نعهدها فيه من قبل عن الشعراء الآخرين، فالأوراس ينحدر من عليائه كرمز الشهامة والبطولة والإباء والتحدي ليتبوأ مكانا بين أهل العار أو الخائفين منه حيث يقول:

مالي أرى الأوراس محتشما ** ** أمثل الذي يخشى من العار[1]

بمعنى ما الذي يخشاه الأوراس حتى يقف محتشما وهو الذي لم يعرف إلا البطولة والشرف والشهادة "فدراجي سليم" في هذا النص يستمر في الخط الذي اختاره في نصوص أخرى، باحثا عمّا غيّر التاريخ من الإشراق إلى الذبول والعرب من الكبرياء إلى الذل والجزائر من البطولة الوهاجة إلى الاحتشام .

[1] دراجي سليم، في انتظار إشارة الإبحار، سلسلة الإبداع المعاصر، دار الفنك، الجزائر، ط01، 1994م، ص 55 .

وعليه نستخلص من كلّ هذا أنّ المطلوب من الشاعر ليس فقط هذه الجماهير وإنّما قدرته على أن يمنح تلك الرموز قوة سحرية تشبع العقل والذوق معا وهذا ما حاول الشعراء الجزائريون تجسيده في شعرهم.

المبحث الثاني: رمزية القدس في الأدب الجزائري.

تعدّ القضية الفلسطينية من أكثر القضايا العربية التي احتفى بها الأدب الجزائري عموما، واستأثر بها الشعراء خصوصا، بل أنها كانت (في مقدمة القضايا والمآسي العربية التي انفعلوا بها وعبّروا عنها في شعرهم يترجمون بذلك إحساس الشعب وتعلقه بها وإيمانه بحق أبناء فلسطين في استرداد وطنهم السليب)[1]. لقد واكب الشعراء كلّ الأحداث التي عاشتها فلسطين وسجّلوا الوقائع وساهموا في شحذهم الجماهير لتهبّ ساخطة على العدو الغاصب، غاضبين مستنكرين ومهددين وهذا منذ ثورة 1963م التي كادت تفتك بالاحتلال البريطاني وتقضي على الوجود الصهيوني، مخلدين شهداءها وراء كلّ المؤامرات والمكائد التي حيكت ضدّ الفلسطينيين ودبرت لبيت المقدس متحسرا في ذات الوقت على ما حلّ به من نكبات ومحن، يقول أبو قاسم سعد الله في قصيدة بعنوان "بني التايميز" [2]

بني التايميز قد جرتم كثيـرا * فهل لكم عن الجور ازدجار**

أفي أسواقكم نصبا وغصبا * تسوم القبلة الأولى التجـار**

إخال القبلة انسجرت دمـاء * كما للبحر باللجج انسجـار**

وهذا الشاعر عبد الرحمن بن العقون يصبّ جام غضبه على بني صهيون، مشاركا إخوانه الفلسطينيين مأساتهم ومتأسفا على ما أصاب " القدس " قبلة المسلمين وثالث الحرمين خاشيا على

[1] عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر والدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، ص 54 .
[2] المرجع نفسه، ص 57.

سقوطها في يد الطغاة الغاصبين، يقول في قصيدة مطولة بعنوان " آه على أمّة القدس التي بسطت للجار إحسانها [1]

أرقت حزنا والبال منك مضطرب * والقلب خاض بحارا ألا يجاريها**

نعم فكيف وحال القدس منزعـة؟ * لكلّ حرّ فأحرى من يعانـيها**

وفلسطين تئن وهي شـاكيـة * من حرّ فتنة أهوال تقاسيـها**

يا غاديا ليهود الشرق قل لـهـم * هل تملكن العبيد مع مواليـها**

فقد زعمتم وكان الزعم دأبكـم * إذ أنّكم أمّة تهوى مخازيهـا؟**

قد يزعمون بأنّ القدس منشؤهـم * وما دروا إنّما الإسلام يحميهـا**

يا أمّة القدس لا يحزنك مطمحهم * فإنّ للقدس ربّا سوف يحميـها**

يكفيكم المسجد الأقصى وقبلتنا ألا * ولى افتخار وقد أوذيتم فيـها**

آه على أمة المقدس التي بسطت * للجار إحسانها وسل مجيريها**

من عصبة كفرت بنعمة عظمت * منها عليها ولم تنظر لماضيها**

كما كان للشعراء الجزائريين مواقف منددة من مشروع التقسيم الذي دعت إليه " لجنة بيل " كحل وسط حيث شعروا بحلول الكارثة وتأملوا من هذا المشروع المبيت، وجزعوا من ضياع القدس بوصفها أعز مكان مقدس في نفوسهم ونفوس العرب والمسلمين جميعا يقول محمد العيد آل خليفة: [2]

[1] عبد الرحمن ابن عقون، ديوان الأطوار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص 19-20 .

[2] ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1917م، ص 314.

يا قسمة القدس أنت ضيـري * لم يعدل القاسمون فيـك**

مضوا على الحيف لم يبادلوا * بما جرى من دم سفيـك**

القدس للعرب من زمـــان * لم يقبلوا فيه من شريـك**

قد سامه الأجنبي خــسفا * وهد من ركنه السميــك**

الإحساس بالخطر على هذا الجزء من الوطن العربي وأدرك أن يد بريطانيا وراء كل مؤامرة تعرضت لها فلسطين حقيقة مرة وعلنية اخرى، فهاجم هنا الانجليز وتحسر على ما حل بأولى القبلتين بعد أن بدأت خيوط المؤامرة تتضح والأطماع الصهيونية تكثر بحيث ظهر الرمز هنا بالاحساس بالخطر وتحريك مشاعره الوجدانية (ألم يألمكم) وتحصر مما جعله يحس بهذا الاحساس العارم بالقدس وفلسطين وأرضها ونضالها.

ولم يكن محمد العيد وحده من وقع عليه قرار التقسيم كالصاعقة، فثمّة من الشعراء الجزائريين كثيرا ممن تأثروا بهذه المصيبة وتألموا لوقع المؤامرة التي حيكت ضد الفلسطينيين والشاعر أحمد سحنون أحمد هؤلاء الذين هزّت مشاعرهم للقضية فعبروا عنها [1]

أموطن أقدام النبيين والرســل * وموطن الوحي بورك من نسل**

فداك العدى لا تقبلي قسمة العدى * و للموت سيري لا تـبيتي على ذلّ**

ولا تحفلي بالناس إن جار حكمكم * عليك فإنّ الله يحكــم بـالعــدل**

[1] جريدة البصائر، العدد 18 جانفي 1984م.

وما فتئ مفدي زكرياء الشاعر الجزائري الغيور على بني الإسلام والعروبة يدغدغ شعور الحكام والجماهير القومي، ويذكرهم بحرمات الأرض الفلسطينية مسرى الرسول الكريم عليه صلوات الله وأزكى تسليم، وينبههم بعزم الغرب وابن صهيون للاستيلاء على القدس الشريف مهبط الأنبياء والصالحين وتنجيسهم لثراه الطيب، يقول في هذا الشأن: [1]

فلسطين يا مهبط الأنبياء * ويا قبلة العرب الثانية**

ويا قدسا بـاعـه آدم * كما باع جنته العاليـة**

وحظّ ابن صهيون أنذاله * بأرضك آمرة ناهيـة**

ويقول في موضع آخر: [2]

فلسطين لا تيأسي إنني سأصلح * سأصلح في الشرق أخطائيه**

لئن خنت فيـما مـضى إنّـه * يوبخني اليوم وجدانيـــه**

وأهملت قدسي نهـــب الذئاب * فالبسي الخزي إهـمـاليه**

وأعرضت عن صارخ من فداك * وطاوعت في الكيد شيطانيه**

على أنّ نبرة الاستنكار والتهديد والوعيد للانجليز والصهيونيين تقاسمهما كلّ الشعراء الجزائريين وتشارك جميعهم فيها، يقول أبو القاسم سعد الله في ذلك: [3]

قل لابن صهيون اغترت فلا تجر * إنّ العرب ناهض للثـأر**

---

[1] مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ط03، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000م، ص 336-337.

[2] المرجع نفسه، ص 345-346.

[3] أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط01، منشورات دار الأدب، بيروت، 1966م، ص 108.

ستـرى أمــانيك التي شيّدتــها * منهارة مع ركنك المنهار**

القدس لابن القدس لا لـمتشــرد * متصهين ومهاجر غـدار**

ولم يقف الشعراء الجزائريون عند حد الاستنكار والتنديد فحسب بل دعوا بلدانهم للاحتجاج لرفع الضيم وكل أشكال المعاناة عن الإخوان الفلسطينيين واعتبروا الوقوف معهم أمرا ضروريا.

وهذا الشاعر الربيع بوشامة يوبخ الأمة العربية سليلة العزة والكرامة على تقاعسها في نظرة شعب المقدس، ويذكرهم أنّ الموت في الكرامة والعزة أفضل من العيش في الهوان والمذلة. ويتساءل حائرا كيف تسنى لها استلذاذ العيش في دعة وأمان وخير والقدس تحت الجحيم تعاني وتحت النار تتقد؟ مستنهضا في ذات الوقت الهمم وداعيا إياهم للاستنفار والفداء وتلبية نداء الجهاد دون نكوص أو تردد وفورا يقول: [1]

أيّها العرب أمّة المجد والعلـ * ياء ماذا ترجون غير التفاني؟**

إنّه الموت في الكرامة والـعزّ * ة أو العيش في الشقا والهوان**

كيف ترون عيش أمن وخيــر * وفلسطين في الجحيم تـعـاني**

فانهضوا للفدا ولبّوا سـراعـا * داعي الله من سمـا الأكـوان**

لا رعى الله أنفســا تــتــملّى * عيشة الذلّ في صفوف الغواني**

كما كان للشعراء دور كبير في تقوية عزيمة الوطنيين والثوار من أبناء فلسطين أثناء اشتعال حرب 1948م حيث أهاجوا العواطف وألهبوا الحماس منبّهين بأنّ إخوانهم العرب لن يتخلّوا عنهم في

[1] جريدة البصائر، العدد 35 ماي 1948م.

كلّ الأحوال ولن يرتاح لهم بالا حتّى تتحرّر القدس وتنال حريتها وتتطهّر من رجس الصهاينة، يقول الشاعر محمد أبو القاسم خمار: [1]

يا فلسطين إذا غبت فلا * خير إلا أن توارينا الحفر**

نحن أشبال وفي أعماقنا * ثورة محمومة لا تستقر**

نحن جند الثأر عشاق الوغى * ندفع الضيم ونبني ما اندثر**

لا نبالي بالذي خان ولا * بالذي ماطل فينا وانتظر**

سنعيش اليوم حربا مثلما * خاضها من قبلها الجيل الأغر**

الرمزية الدينية والتاريخية لفلسطين

تشكل القدس خلفية مهمة لدى شعراء الجزائر من الأربعينيات مع محمد العيد آل خليفة وغيره من الشعراء إلى اليوم، لما تحمله من أبعاد دينية وحضارية وتاريخية، والشاعر عندما يوظّف القدس، كرمز شعري، لا يكتفي بالذكر الحرفي لها وتزيين النص بها ليظن القارئ أنّ الشاعر مرتبط برموز الأمّة، ومتسلح بثقافة دينية، بل ليبرز قيمته وتأثيره في حركية الأمة والتاريخ العربي والإسلامي، وليبقى القارئ مرتبطا بتاريخه المجيد، وحضارته الرائعة، ويجعله حافزا له وقابلا للتجدد مرة ثانية، إن توفرت الشروط المادية والمعنوية لذلك.

فهي عند الشاعر الجزائري حسين زيدان، نجمة وكواكب وقصيدة أحبها، فهي الجزء الذي يجسد الكلّ، اليوم وغدا ولأنّ الوطن واحد والتاريخ واحد، انطلق الشاعر من عمق الأوراس إلى قلب

[1] محمد أبو القاسم خمار، إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 45.

القدس، فتاريخ الأوراس معطر بشذى القدس ولم يتشكل تاريخه إلا بهواه وقد رسم الشاعر للقدس صورتها الحقيقية في مخيلته وجسد حبّها له شعريا، لأنّها جزء منه :

هو في عيوني نجمة لم تنبجس وكواكب عطشى تفتش عن سديم

هو لمسة الوجدان لما أشرقت وقصيدة لم يفشها قلب كظيم

هو في أصابع فرحتي أنشودة ورسالة كم أوهت قلب الكليم

هو قبضة وضعت على شفة الزناد وطلقة أعددتها لغد عظيم.

أحببته ... أحببته ... ما ضرّني أو أزعجت كينونتي أهل الرقيم

أو لم أكن في البدء مهد العاشقين إذن أقول من الصميم إلى الصميم [1]

فالقدس قد تحولت إلى رمز ديني وتاريخي عند الشاعر الجزائري، وعند الشاعر العربي عامة، وأصبح الشعراء يحنون إليها لأنّها الفردوس المفقود، والتاريخ الثري بالأحداث العظام، قريبة منهم مكانا لكنّها بعيدة التحقيق.

يتّكئون عليها فقط بل يعيدون كتابتها وانتشالها من هول النسيان، فيتلبس بها الشاعر، صراحة أو بما يدل عليها، فتبرز في النص كما برزت في القلب والذاكرة، في صورة جميلة مرة، وفي صور مأساوية مرات كثيرة.

والحقيقة التي يجب الإقرار بها هنا، أنّ أغلب الشعراء العرب، لا يلتفتون إلى أماكنهم المقدسة، والتي تحمل الأبعاد الدينية والتاريخية، إلا في مرحلة الفقد والغياب والضياع فقديما كانت غرناطة واليوم

[1] حسين زيدان، قصائد الأوراس إلى القدس، منشورات SED، الجزائر، ط01، 1985م، ص 57.

القدس ويستخدمونها لتزيين نصوصهم، أمّا من تأتي عندهم عن وعي وقناعة فهم قلّة، وممن يحملون الثقافة العربية الإسلامية، ويؤمنون بعودتها إلى حظيرة العرب والإسلام والمسلمين، ولو بعد حين.

فعندما يضمن الشاعر الجزائري نصه رمز القدس الديني والتاريخي، فهو يعود إلى الماضي المشرق المنير، والأيام الجميلة الزاهية، وإلى زمن العزّ لما كانت القدس هي العنوان الأوّل والأخير وهي التي تعطي المكانة لأبنائها كما فعل الشاعر مصطفى الغماري الذي انطلق من القدس ومن تاريخها ليفضح الحاضر وواقعه:

فجرت منابع الإبداع فيهم فهاموا في مداك رؤى وضياء

ورقّ حنينهم فيك انسيابا فرفرفت القلوب لك الوفاء

فماذا يا جلال القدس ماذا؟ وقد عاد الزمان بنا وراء

تحطمت البراعة فيك شكوى ووجه الصمت يطوينا عياء

يلملم جرحنا في كلّ ناد ويقيس من لياليه الشتاء [1]

أما الشاعر الجزائري أحمد شنة، فهو يدعوا لرفع الظلم عن القدس وتحريرها، وتوحيد كل الجهود وإصدار الكلمة الواحدة المزلزلة، لكن في زمن أصبحت كلّ القبائل فيه يهود يستحيل ذلك، فيحاول الشاعر أن يوقظ الضمير العربي النائم ويشعرنا بالذنب والتقصير، مع دمج السياسي بالديني وبالتاريخي، حيث تتداخل الدلالات مع بعضها البعض في نصه طواحين العبث :

تكلم ...

[1] مصطفى محمد الغماري، بوح في موسم الأسرار، لافوميك، الجزائر، ط01، 1985م، ص 70-71.

وقل إنّنا لا نخاف اليهود

سنخرجهم من خيام أمّية

من رمل خبير، من مهبط الانبياء

ولكن تمهّل ... وحدّق معي في الوجوه !

فكل القبائل صارت يهود[1]

لقد تحول رثاء المدن في الشعر العربي المعاصر، إلى رثاء من نوع خاص، وإلى رثاء للذات، حيث يتداخل الذاتي مع الموضوعي، الحاضر مع الماضي، غير أنّ الكثير من الشعراء لم ينفذوا إلى أعماق التاريخ ليلتحموا في تجربة ذاتية كلية عبر الوجداني والمتخيل وليستلهموا منه الرموز والصور التي تحضر في النص ضمن منطق عضوي يأخذ فيه هذا التاريخ صيغة جديدة مفعمة بالإيحاء والتصوير مشبعة بالرمزية المتفتحة على القراءات المتعددة وإنّما اكتفوا بالتعامل الخارجي المدرسي معه في إطار الرؤيا العامة والنسق المتواتر ... فكان تنبيها بالمدخل الوصفي الذي يمحي فيه حضور الذات الشاعرة فاعلية الإنشاء تحت هيمنة الأغراض الموضوعية الملائمة لحاجات الواقع فاعلية التلقي. [2] .

فتوظيف الأسماء المكانية التاريخية والدينية، ومحاكاة هندستها، لا يضيف النص ولا القارئ أي شيء، ما لم يصهر الشاعر كلّ ذلك في البنية العامة للنص، تعيد تركيب وترتيب الأمكنة وفق رؤية النص المكانية، لا الواقع المادي او التاريخي، مع الخيال والتصوير والصياغة الجيدة، ليكون النص جديدا ومتميزا عن السائد والمعتاد، ويعبر يصدق عن رؤية الشاعر ويبرز تجربته ومواقفه من الحياة والإنسان

[1] أحمد شنة، طواحين العبث، مؤسسة هذيل، مطبعة هومة، ط01، 2000م، ص 53.

[2] إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا، ص 269.

والكون، لأنّ المكان يبلور هذه الرؤيا العميقة، وإن تعددت التصورات والرؤى فالمكان في حقيقته عبارة عن هوية تاريخية مادية مائلة للعيان... قادر بتمثله العياني على اختراق التاريخ وإظهاره... فالمكان ما هو إلا انعكاس للزمن [1] وللمتغيرات العامة في البنية التاريخية، وشخصية المكان التاريخية مرتبطة أشدّ الارتباط بشخصيته الزمنية، وبروزه كعلامة في سياق الزمن الماضي، فيتشكل الإحساس بالرغبة في عودته والحفاظ عليه.

وهذا ما دفع الشاعر الجزائري مفدي زكرياء مثلا في إلياذته إلى إبراز تاريخ بعض الأماكن الجزائرية التي شيّدها الأسلاف نتيجة إعجابه بها وكونها علامة بارزة في تاريخ الجزائر القديم القصبة، حمام ملوان، شرشال، تلمسان... والإلياذة في حقيقتها رصد لهذا التاريخ المكاني المتنوع، وإبراز لشخصية الشعب الجزائري ورجالاته ونضالاته المتنوعة لجعلها حافزا للجيل الجديد:

سجا الليل في القصبة الرابضة فأيقظ أسرارها الغامضة[2]

وحمام ملوان ملّ المجونا وانهى غوايته والفتونا

أ شرشال ! ... هلّا تذكّرت يوبا؟ ومن لقّبوا عرشك بالقيصرية؟

ومن مصروك فنافست روما وشرّفت أقطارنا المغربية

تلمسان مهما أطلنا الطواف إليك تلمسان تنهي المطافا[3]

[1] هما حسن يوسف عوض، المكان في الرواية الفلسطينية 1948- 1988، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة اليرموك، الأردن، 1991م، ص 34.
[2] مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، م و ك، الجزائر، ط02، 1987م، ص 27.
[3] المصدر السابق، ص 29.

والإلياذة بالرغم من تاريخيتها وبعدها في معظم الأحيان عن الانسجام المكاني، والتفاعل الوجداني مع المكان التاريخي، والاكتفاء بالذكر الجغرافي، فغنّها أعادت إلى الواجهة هذه الأمكنة المحورية، والعلامات التاريخية، وعرفت الجيل الجديد بها، وجعلتها علامات للشعراء وليتناولوها ويكتبوا عنها بشكل مغاير لأنّ المكان شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني، يتجدّد عبر الممارسة الواعية للفنان، فهو ليس بناء خارجيا مرئيا، ولا حيزا محدد المساحة، ولا تركيبا من غرف وأسيجة، بل هو كيان من الفعل المغير والمحتوي على تاريخ ما، والمضمخة أبعاده بتواريخ الضوء والظلمة [1]، وما على الشاعر المكان يتكلم في النص الشعري، فيتكلم الشاعر والمكان بصوت واحد، ليتواجد في صورة فنية مؤثرة، تفرض سيطرتها وهيمنتها على المتلقي.

وتجربة قصيدة القناع هي حصيلة علاقة المثاقفة والتناص بين الشعر العربي والشعر الغربي فتحول المكان إلى رمز وإلى قناع يكون ضمن سياق الوعي التاريخي، وانعكاس الذاتي في الموضوعي ولا يعني هذا الانعكاس سلبية الذات الشاعرة وخضوعها لسلطة المكان بقدر ما يبرهن عن تاريخية هذا الشعر وانخراطه العميق في المعركة الحضارية... فلم يعد للمكان معنى واسم إلا بوصفه أرضا ولا صفة له ودلالة سوى ضمن جمالية الواقع التاريخي [2] وما يعمله من شحنة عاطفية ودلالة معنوية وذاكرة رمزية، لأنّ المكان يقدم حلا للشاعر وللقارئ على حدّ سواء حين يريد أي منهما الهروب من واقعه ليسقط عليه رؤاه التي يخشى معالجتها، ومن هنا يتحول المكان إلى رمز وقناع يخفى المباشرة، ويسمح لفكر المبدع أن يتسرب من خلاله، وقد يكون المكان تقنية مستقبلية يتجاوزها المبدع مكانه

[1] ياسر نصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط01، 1986م، ص 08.

[2] إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي، ص 153.

وواقعه فيصعد إلى السماء وقد ينزل إلى أعماق الأرض ليبث الرمز نفسه ويهرب، بل يتسرب من خلاله أو ينقده. [1]

نماذج من قصيدة القناع:

1. القناع الصوفي: وتتمثل من خلالها قصيدة الشاعر صلاح عبد الصبور

تعالى الله هذا الكون لا يصلحه شيء

فأين الموت أين الموت أين الموت؟

تعالى الله هذا الكون موبوء ولا برء

ولو ينصفنا الرحمان عجل نحونا بالموت

2. القناع الذهني:

ويتمثل من خلال قصيدة الشاعر محمود بريكان (هواجس عيسى)

يخفى المسافرون

وجوههم في صفرة الظل ويحلمون

بالغد... الرجال متعبون يحلمون

بالبيع والشراء والفاقة والثراء

والأهل والبنين والوداع واللقاء.

[1] مدحت الجبار، جماليات المكان في المسرح، صلاح عبد الصبور من كتاب الجماليات لمكان عيون المقالات، المغرب، ط02، 1988م، ص 23.

ونجاح استخدام تقنية القناع التي أصبحت شائعة في المتن الشعري العربي المعاصر في الجزائر وفي العالم العربي، يتوقف بصورة مهمة على نجاح الإسقاط، فالقناع وجه يرتبط بفترة تاريخية محددة يقتنه به الشاعر في عصر آخر للتعبير عن حال معاصرة من خلال فترة ماضية فإذا أجاد التعبير دون أن يرفع القناع عن وجهه نجح الإسقاط الفني، وإذا كان الشاعر يرفع القناع عن وجهه بين لحظة وأخرى وقد نسي أنه متقنّع عدّ ذلك عيبا فنيا واختلط حضور الشاعر بالقناع والزمن الماضي بالزمن الحاضر والشعراء بطبيعة الحال يتفاوتون في توظيفهم للرمز التاريخي، وتفننهم بالأمكنة بناء على أهدافهم المتوخاة، ومرجعياتهم التاريخية والدينية، وما يملكونه من قدرات فنية. فما يشدنا نحو الرمز التاريخي ليس حقيقته المدوة في ذلك السياق الماضوي، وإنما هو مصيرنا الذي نلمحه بالتحديد من خلاله في الحاضر، فنحن نطالع في الرمز التاريخي تجربتنا الخاصة موصولة بتجارب أسلافنا في الماضي، ومن هذه الخصوصية نطالع في الرمز مصير البشرية وتجربتها الإنسانية العامة، إن للرمز الفني دائما مثل هذه القدرة على دمج الخاص بالعام، والآتي بالمطلق، والمحدود المعلوم باللامحدود المجهول .[1]

وقد يجمع الشاعر الجزائري الكثير من الدلالات في النص الواحد ويربط بين أماكن كثيرة في الوطن العربي، ليتمكن القارئ في أيّ مكان من فهم المقصود مثلما فعل الشاعر ناصر معماش في نصه الشعر قائد هذه الأوطان الذي ألغى فيه الحدود الجغرافية الموضوعة، وثبت العلائق التاريخية بين المدن العربية، وجعل من الأوراس الرابط التاريخي بينها، مع تأكيده على التاريخ المشترك لهذه المدن:

ما لم يزر بغداد أو غرناطة لن يفهم التاريخ في الجولانِ

[1] عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر فترة الاستقلال، منشورات جاحظية، الجزائر، ط01، 2000م، ص103.

ما لم يرَ الأوراس وقت شروقه حين الصنوبر باسم الأفنان

حين الندى الضمآن يحضن ورده ويهيم دفءُ الحب في الوديان

هو قلب أوراس الجزائر حالم نبضاته من أجل الألحان

في كلّ شبر من ربوعه قصة كتبت بكل لغات ذي البلدان[1]

فالاوراس هي الخيط الرابط بينها وهو قلب الجزائر المجاهدة، وقد أخذ القسط الكبير من نصوص الشعراء الجزائريين المعاصرين والشعراء العرب، إذ لا يخلو ديوان شعري جزائري من ذكره، كما نجد أنّ كلّ شائع جزائري ضمنه في نص من نصوصه الشعرية بشكل من الأشكال. لأنّ الأوراس هو تاريخ الجزائر المعاصر، ونقطة التحول والانتقال من وضع إلى وضع، ومن تاريخ إلى تاريخ، لذلك أصبح رمزا للشعراء، على الرغم من تبدل الظروف وتغير الأحوال بين الأمس واليوم:

آتيك أوراس محترقا ودمع الأحبة في راحتي

آتيك ملتحفا هامتي وممتشقا في المدى قامتي

تمرّ السنون ولما يزل صهيلك أوراس في واحتي

وتحملني زهرة في رباك وعصفورة غردت آيتي

وتسألني قطرة من دماك لماذا فأشكو لها حالتي[2]

[1] ناصر معماش، الاعتراف الأخير، دار هومة، الجزائر، ط01، 2001م، ص 74.

[2] عز الدين ميهوبي، اللعنة والغفران، منشورات الأصالة، سطيف، ط01، 1997م، ص 10-11.

يأتي إليه الشاعر وهو يتحرق إليه، ودموع الأحبة في راحته، ويشكوه حاله، ويدعو لعودته من جديد ليرفع عنا وعنه الظلم والمآسي، فقد عادت الدماء والدموع من جديد، ولا سبيل للتخلص منها إلا بأوراس جديد.

لكنّ الماضي المشرق والمشرق للأوراس، أصبح في الذاكرة فقط، مما حدا بجميع الشعراء الجزائريين أن يركزوا على الدعوة إلى عودته من جديد، ليمحو عن الوطن الجريح جراحه، ويعيد بعضا من الماضي، ومع علمهم الأكيد أنّ ذلك لن يكون، فالأمل قائم مع هذا الجيل الجديد الذي سوف يعيد إلى الأوراس عزته:

أوراس يشكو للشمال شجونه وحنينه وحصاره ومحاصره

أوراس قدم للجزائر ماله وعيونه وجفونه ومحاجره

وجماله وظلاله ونضاله وخصاله ورجاله وحرائره

أوراس يسأل عن قريب منجد يمحو عن الوطن الجريح جبائره[1]

فعودة الشعراء الجزائريين إلى توظيف الرمز التاريخي الأوراس، أو غيره من الرموز التاريخية، دلالة على التشبث بالأرض وبالجذور وإبراز الذات الجزائرية، عوض توظيف رموز بعيدة عن شخصيتنا وخصوصيتنا التاريخية الجزائرية والعربية.

[1] نذير الطيار، ملحمة الهجوم على الشمال القسنطيني، مهرجان الشعر الجامعي الأوّل، جامعة قسنطينة، ص 38.

وهذه العودة إلى التاريخ، عودة الذات، وتعويض عما ذهب وفُقدَ. فالمدن التاريخية الجزائرية، ذهبت هيبتها وامّحى تاريخها مع الأحداث الجديدة، ولم تبقَ منها إلى الصورة القديمة يسترجعها الشعراء، فهذه سر التاريخ ذهب عنها أريجها، وغاب ريحها، وأصبحت متعبة:

سيرتا !

دروبها أنهار عشق تتلظّى

جدرانها عبق التاريخ

مترف فضاؤها بالقصائد

بالحنين

لكنها متعبة

لم تعد صخورها منيعة

بعدما انطفأت براكينها

والهضاب التي خلقت في المدى

أصبحت في الحضيض[1]

فبضياع تاريخ تلك المدن، ضاع تاريخ الشعراء وأصبحوا يعيشون على هامش مائدة التاريخ، والماضي الجميل المضمن بالأمنيات، والذي لن يعود، ما دامت صيرورة التاريخ تسير بهذا الشكل.

[1] الشريف بزازل، يعوزني وطن من ورد، ديوان مخطوطات، ص 49-50.

فتشبّث الشعراء بمدنهم وحصونهم الباقية، والمحتفظة بجزء من التاريخ هو تشبث بالمكان وبالحياة من خلاله، فالشاعر الجزائري محفوظ بوشناق مثلا، يعود إلى قريته القنار تشفى بولاية جيجل مناجيا إياها، مسترجعا تاريخها الثري، ليحي الذكرى من جديد، ويعيد الماضي الذي كان واقعا في تلك القرية الساحلية، حيث تحولت القنار عند الشاعر إلى تاريخ و حكاية، بل هي التاريخ كلّه من بدايته إلى نهايته:

هنا في رحاب قريتي يحط التاريخ رحاله

ليخط للتاريخ ألف حكاية وحكاية

ها هنا في كل غاب وفجّ

وسفح ورابية

ذكر للبطولة

وللفدا آيات أبدية

ها هنا يجثو التاريخ في محراب قريتي

مناجيا أرواحا زكية

يعيد بها الماضي البعيد

لتحيا الذكرى من جديد[1]

علاقة النص بفلسطين موضوعكم

[1] محفوظ بوشناق، برقية شهيد من سناء، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، ص 18 .

فالشاعر الجزائري شاهد على التاريخ، وعلى ما مرّ به الوطن من أحداث أليمة، في الماضي وفي الحاضر، فأحداث باب الواد الطوفانية سجلت تضامن الشعراء من المنكوبين والمفقودين والموتى، وكتب الشعراء تاريخهم الخاص بالأحداث بل إنّ اتّحاد الكتاب الجزائريين نشر ديوانا شعريا مشتركا خاصا بالأحداث، تمثّل شهادات إبداعية حول السبت الأسود من شهر أكتوبر، جمع فيه كل القائد الشعرية للشعراء الجزائريين الذين كتبوا نصوصا في الحدث، ومن أبرز تلك النصوص الشعرية التي تجاوز فيها كاتبها المناسبة العرفية إلى التفاعل مع الحدث نص الشاعر سليمان جوادي أ عاصمة الجزائر المبني على التساؤل المفجع:

أ عاصمة الجزائر ما دهـاك ومن ألقى الفجيعة في حمـاك

ومن دك الشوارع والمبـاني وأغضب دون ما جرم سماك

وجرجر ساكنيك إلى المهاوي وقاد همو إلى سوء الـهلاك

فمن لك بالثواكل واليتـامى آساهم قد تمازج في أسـاك

ومن لك بـالمشـرّد والمفنّى ومن لك بالفواجع والبواكـي[1]

حيث ارتفع فيه الشاعر عن الذكر الحرفي، ونحى منحى مساءلة المكان، وهو يعلم أنّه لا يجيب، بطريقة أعادت إلى الذاكرة نصوص رثاء المدن.

[1] نصوص الطوفان، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، ط01، 2001م، ص 18 .

والشاعر بصفته عضوا فعالا في مجتمعه منبثقا مهم لتاريخه لا يترك الأحداث تمر دون ذكر شعري، ومثلما كانت الكتابة الشعرية عن أحداث باب الواد كتب الشعراء عن زلزال الأصنام ولاية الشلف حاليا الذي ضربها في العشرين من أكتوبر سنة 1980:

غنيتك يا مدينة الأصنام أسطورة

غنيتك لغزا حقّه الإبهام

غنيتك نغمة حزن

جرت به الأيام حبلى منذ الأزل

حتى إذا أعياها الحمل وأدركها المخاض فجعت إذ ذاك

يا أصنام على عجل

فكنت للمخاض مهدا

وللأجيال لحدا

تواريها الأنقاض [1]

فالشاعر الجزائري واكب كل الأحداث التاريخية وكتب عن جميع الملمّات ليس عن الجزائر فقط بل عن كلّ مكان في العالم العربي والإسلامي كلّه .

[1] محفوظ بوشناق، برقية شهيد من سناء، ص 63-65 .

خاتمة

لقد حاول هذا البحث أن يستنطق أبعد الثورة الفلسطينية وطابعها على الأديب الجزائري وأسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج أهمها:

– الإحساس بالإنتماء الطبيعي والحتمي لهذه الأرض المقدسة لأنها ثالث الحرمين وأولى القبلتين

– مناصرة القضية الفلسطينية من منطلق قومي وديني

–ترجمة الأديب الجزائري لما عاشه من المحنة نفسها ويتقاسمان الهم نفسه ألا وهو الإستدمار

–تنذير بالإحتلال الصهيوني وبجرائمه ضد الشعب الشقيق الفلسطيني في المحافل الدولية والمؤتمرات القومية

–التحسر على الماضي التليد للتاريخ الإسلامي الذي نحن بحاجة إليه اليوم في عالمنا العربي. بجميع مكوناته ومشاهده وشخصياته وأبطاله.

–الوقوف عند المحطات السياسية في قضيتها مع تبيان قيمتها التاريخية عند شعوب العالم .

التغني ببلاد مهبط الأنبياء.

–تذكر تاريخ فلسطين، التي كانت أرضها شاهدة على مصارع الصليبيين على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وصلاح الدين الأيوبي.

–كشف الأعمال الإجرامية التي قام بها الخونة و التعبير عن قيمة فلسطين

–الشوق والحنين. إلقاء نداء للعرب بأن يعدو العدة ويستفيقوا من سباتهم .

–لوم وتخاذل العالم والعرب خاصة على نصرة فلسطين.

–السعي إلى استنهاض الهمم وشحذ العزائم لنصرة القدس .

- التنبيه إلى المخاطر التي يمكن أن تلحق الأراضي الفلسطينية

-توضيح الكاتب الجزائري الأهداف الصهيونية البعيدة ومخططاتهم

-كتابات الجزائريين هي الإنطلاق من الواقع الوطني إلى الواقع العربي من رؤية محلية إلى رؤية عربية شاملة

-الاهتمام بالقضية الفلسطينية منذ بداية القرن العشرين

- مناصرة القضية الفلسطينية من منطلق قومي ديني

-استعراض تاريخ إحتلال فلسطين والوقوف عند أهم المحطات السياسية

- وصف معانات الشعب الفلسطيني الأعزل

- لوم العرب الذين تخاذلوا في مناصرة الانتفاضة الفلسطينية وإغرارهم بالادعاءات اليهودية.

إذا فالجزائر بكتابها وأدباءها وبشعبها تفاعلت مع القضية الفلسطينية خاصة. وأن كلا الشعبين الجزائري والفلسطيني عرفا بشاعة الإستعمار وذاقا صنوف سياسته الوحشية. لتكون ردة فعل واحدة. الدفاع عن الوطن بكل قوة. فكلا الشعبين يستمدان طاقتهما من العقيدة الوحيدة، فهما من جنس واحد وأمة واحدة.

وفي الاخير الخلاصة التي يمكن ان نخرج بها من صفحات هذا البحث هو ان :

-الكتاب الجزائريين كما فعل الشعراء قد اهتموا بالقضية الفلسطينية ومنذ ان بدأ الحديث فيها هامشا الا ان طفت الى الوجود وبرزت على السطح.

– عالجوا به القضية الوطنية الصرفة ولم يألوا جهدا في الدفاع والاستماتة عن فلسطين وقضيتها بالقدر الذي بذلوه لقضايا الجزائر .

–فلسطين قضية قومية في الشعر الجزائري والانتماء الطبيعي لها كان بارزا في دواوين كتاب جزائريين ك عمر راسم والبشير ابراهيمي .

–التحفيز وبعث همم الشباب وتذكير ضمائر الشعب الجزائري والارتباط بالمناسبات بأنواعها وذلك ما شهدناه في شعر ال خليفة وغيرهم من شعراء .

–تبني توظيف الرمز والتكثيف منه في المتن الشعري الحديث .

– قدرة الرموز في منح قوة سحرية تشبع العقل والذوق معا وهذا ما حاول الشعراء الجزائريون تجسيده في شعرهم.

ومن خلال كل هذا نستخلص من هذا البحث :

1. ففي افتتاحية هذا البحث او المدخل كانت للقضية الفلسطينية حضورا بارزا الادب العربي لسيما في دواوين والقصائد.. حضور روحي شكلته قداسة المكان وكيف نشأة هذه الثورة؟ التي كان ورائها اتفاقيات وتدعيم من دول الغرب قابلة التخاذل العربي الذي ما زاد فلسطين الا رهقا .

2. اما في المرحلة الثانية من هذا البحث شاهدنا الاديب الجزائري في ذكر القضايا والمآسي التي انفعلوا بها سواء نثرا او شعرا وعبروا عنها في شعرهم يترجمون بذلك احساس الشعب وتعلقه بها وايمانه بحق ابناء فلسطين. فواكب الشاعر والكاتب الجزائري كل الاحداث التي عاشتها فلسطين وسجلوا الوقائع وساهموا في شحذهم الجماهير لتهب ساخطة على العدو الغاصب مشرين الى موقف العرب اتجاه هذه القضية ووصف المعارك الذي دارت هناك .

3. على ان الحديث الشاعر الجزائري الذي تضمنته المرحلة الاخيرة من هذا البحث عن رمزية فلسطين وتصويره لها نابع من ايمانه الخاص بأنه فضاء حمل في تاريخ الاسلام رمزية القداسة ومن المفيد تأكيد ان القدس حظيت بأهمية في شعر جزائري وفي دراسته عن اهمية القدس في الضمير والوعي الذي عبر عنه الشعر عبر اشكاله المختلفة .

قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع والمصادر

أولا: الكتب:

1. إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائر نموذجا
2. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث
3. أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط01، منشورات دار الأدب، بيروت، 1966م
4. أبو قاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط02، 1977م
5. آثار عبد الحميد ابن باديس، ج05
6. أحمد الشقيري، صفحات في القضية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط الأولى، بيروت 1979م
7. أحمد شنة، طواحين العبث، مؤسسة هذيل، مطبعة هومة، ط01، 2000م
8. إلياس شوفاني، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ، سنة 1949م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1996م
9. امية حمدان حمدان، الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني، منشورات الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، د.ط، 1981م
10. بطرس عودة، القضية الفلسطينية في الواقع العربي

11. بهجت أبو غربية، القضية الفلسطينية في أربعين عام بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1989م

12. بهجت صبري، فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1919م-1920م، جمعية الدراسات العربية، القدس، 1982م

13. جلال يحي، مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1965م

14. جميل هلال، النظام السياسي الفلسطيني بعد أوسلو، مواطن، المؤسسة الفلسطينية للدراسة الديمقراطية، رام الله، 1988م

15. حسين زيدان، قصائد الأوراس إلى القدس، منشورات SED، الجزائر، ط01، 1985م

16. دراجي سليم، في انتظار إشارة الإبحار، سلسلة الإبداع المعاصر، دار الفنك، الجزائر، ط01، 1994م

17. دوغان أحمد، شخصيات من الأدب الجزائري

18. ديوان محمد العيد آل خليفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1917م

19. الركيبي عبد الله، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر

20. سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، انظر غيس شنوف، يهود الجزائر، 2000 سنة.

21. سلمان أبو ستة، "نكبة فلسطين... متى يمكن أن تزول"، مجلة العربي، العدد 498 (د.ب)، 2000م

22. الشريف بزازل، يعوزني وطن من ورد، ديوان مخطوطات

23. شعراء من الجزائر، الحلقة الأولى، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969م

24. الشيخ المدني رحمون بن أحمد، الديوان، 1977م

25. صاري الجلالي، الجزائر في التاريخ

26. صالح الخرفي، الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م

27. عبد الحميد العوافي، الانتفاضة والداخل الإسرائيلي، شؤون عربية، العدد 53 آذار/ مارس، عام 1988م، الإدارة العامة، جامعة الدول العربية، تونس

28. عبد الرحمن ابن عقون، ديوان الأطوار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م

29. عبد الله الركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى

30. عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر والدار العربية للكتاب، تونس، 1983م

31. عبد الله محمد الغذامي، شرح النص (مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة)، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط01، 1987م

32. عثمان حشلاف، الرمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر فترة الاستقلال، منشورات جاحظية، الجزائر، ط01، 2000م

33. عز الدين ميهوبي، اللعنة والغفران، منشورات الأصالة، سطيف، ط01، 1997م

34. عزّ الدين ميهوبي، في البدأ كان أوراس، دار شهاب، عمار القرفي، باتنة، ط01، 1985م

35. عمر دقاق، نقد الشعر القومي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1978م

36. عمر راسم، استعمار فلسطين، دار الأمريا مسلمين، مرشد الأمة ع04، 1909/07/23.

37. عمر راسم، استعمار فلسطين، مرشد الأمة، ع 08، 1909/08/27 .

38. عمر راسم، كشف أعمال اليهود التخريبية صناعة جديدة للسلب والنهب، مرشد الأمة ع06، 1909 /08/06 .

39. عودة بطرس عودة، القضية الفلسطينية في الواقع العربي

40. غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة، بيروت، لبنان، د.ط، 1983م

41. فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1997م

42. كمال عجالي، مصطفى أبو بكر بن رحمون

43. كمال عجالي، مصطفى أبو بكر بن رحمون حياته وشعره، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط 1991م

44. محسن محمد صلاح، التيار الإسلامي في فلسطين وآخرون في حركة الجهاد 1917م-1948م، مكتبة الفلاح، الكويت، 1989م

45. محفوظ بوشناق، برقية شهيد من سناء، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1

46. محمد أبو القاسم خمار، إرهاصات سرابية من زمن الاحتراق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م

47. محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ج02

48. محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، ط02، 1978م

49. محمد ناصر، عمر راسم، المصطلح الثائر، مطبعة لافوميك، الجزائر، (د.ت)

50. مدحت الجبار، جماليات المكان في المسرح، صلاح عبد الصبور من كتاب الجماليات لمكان عيون المقالات، المغرب، ط02، 1988م.

51. المدني رحمون، الديوان، جمع وضبط وتعليق عبد اللطيف حني، مخطوط 1993م

52. مروة تهامي، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا 2011م، دراسة إنثروبولوجية ميدانية مقارنة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة 2013

53. مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، 1954م-1962م

54. مصطفى محمد الغماري، بوح في موسم الأسرار، لافوميك، الجزائر، ط01، 1985م

55. مفدي زكرياء، اللهب المقدس، ط03، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2000م

56. مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، م و ك، الجزائر، ط02، 1987م

57. ناصر معماش، الاعتراف الأخير، دار هومة، الجزائر، ط01، 2001م

58. نذير الطيار، ملحمة الهجوم على الشمال القسنطيني، مهرجان الشعر الجامعي الأوّل، جامعة قسنطينة

59. نصوص الطوفان، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، ط01، 2001م

60. ياسر نصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط01، 1986م

61. ياغي عبد الرحمن، حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أوّل نهضة ... حتى النكبة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1981

62. يحي بن هون، النزعة الوحدوية في شعر مفدي زكرياء

63. يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2

64. يوسف خليف، أوراق في الشعر ونقده، دار الثقافة، القاهرة، د.ط، د.ت

ثانيا: الرسائل والاطروحات

65. محمد قري، مسار الرمز وتطوره في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، علوم في الأدب العربي، 2001م

66. هما حسن يوسف عوض، المكان في الرواية الفلسطينية 1948- 1988، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة اليرموك، الأردن، 1991م

ثالثا: الجرائد

67. جريدة البصائر، العدد 18 جانفي 1984م.

68. جريدة البصائر، العدد 35 ماي 1948م.

69. موقع قصة الإسلام، أحداث فارقة في الانتفاضة الأولى 1987م.

70. جريدة ميزاب، ع 14 جانفي 1930م .

الفهرس

العنوان	الصفحة
كلمة شكر	
اهداء	
مقدمة	**02**
المدخل قضية الالتزام في الثورة الفلسطينية	
الثورة الفلسطينية في الأدب العربي	**06**
الثورة الفلسطينية النشأة والتطوّر	**07**
قضية الالتزام في الثورة الفلسطينية	**08**
الفصل الأول موضوعات الثورة الفلسطينية في الادب الجزائري	
المبحث الأوّل: موضوعات الثورة الفلسطينية في الادب الجزائري	**13**
3- في النثر الجزائري	**13**
4- تجليات القضية الفلسطينية في الشعر الشعبي الجزائري	**22**
أوّلا: فلسطين قضية قومية في الشعر الشعبي الجزائري	**23**
ثانيا: القيمة الدينية والتاريخية لفلسطين عند الشاعر رحمون	**26**
ثالثا: وصف معاناة الشعب الفلسطيني الأعزل	**31**

رابعا: التنبيه من خطر هجرات اليهود لفلسطين	**32**
المبحث الثاني: نماذج من الشعر الجزائري:	**40**
القضية الفلسطينية في شعر " محمد آل خليفة"	**40**
القضية الفلسطينية في شعر مفدي زكرياء	**45**
الفصل الثاني رمزية فلسطين في الأدب الجزائري المعاصر	
المبحث الأوّل: الرمز في الشعر الجزائري المعاصر	**49**
3- الرمز والشعر	**49**
4- تجليات الرمز في الشعر الجزائري المعاصر	**51**
المبحث الثاني: رمزية القدس في الأدب الجزائري	**56**
خاتمة	**71**
قائمة المراجع والمصادر	**73**
الفهرس	
ملخص	

ملخص

أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج أهمها:

– الإحساس بالإنتماء الطبيعي والحتمي لهذه الأرض المقدسة لأنها ثالث الحرمين وأولى القبلتين

– مناصرة القضية الفلسطينية من منطلق قومي وديني

–ترجمة الأديب الجزائري لما عاشه من المحنة نفسها ويتقاسمان الهم نفسه ألا وهو الإستدمار.

–تنذير بالإحتلال الصهيوني وبجرائمه ضد الشعب الشقيق الفلسطيني في المحافل الدولية والمؤتمرات القومية

–التحسر على الماضي التليد للتاريخ الإسلامي الذي نحن بحاجة إليه اليوم في عالمنا العربي. بجميع مكوناته ومشاهده وشخصياته وأبطاله.

–الوقوف عند المحطات السياسية في قضيتها مع تبيان قيمتها التاريخية عند شعوب العالم .

–التغني ببلاد مهبط الأنبياء.

الكلمات المفتاحية: المقدسة– الصهيوني– الإستدمار– الفلسطيني– التاريخية

Summary

This study resulted in a number of results, the most important of which are:

- A sense of natural and inevitable belonging to this Holy Land because it is the third of the Two Holy Places and the first of the two Qiblahs - Advocating the Palestinian cause from a national and religious standpoint

- The Algerian writer's translation of what he lived through the same ordeal and shared the same concern, which is sustainability

A warning of the Zionist occupation and its crimes against the brotherly Palestinian people in international forums and national conferences

- Sorrow over the ancient past of Islamic history, which we need today in our Arab world. With all its components, sights, characters and heroes.

- Standing at the political stations in its case while showing its historical value among the peoples of the world.

Singing in the land of the prophets.